الدروس والمواعظ

من حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه

(ذو النورين)

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

سلسلة الدعوة والدعاة

الدروس والمواعظ

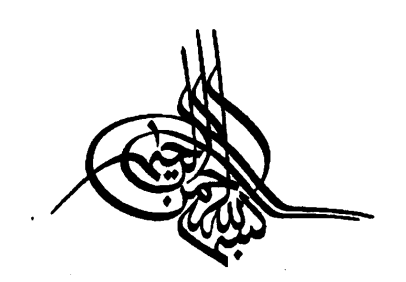
من حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه

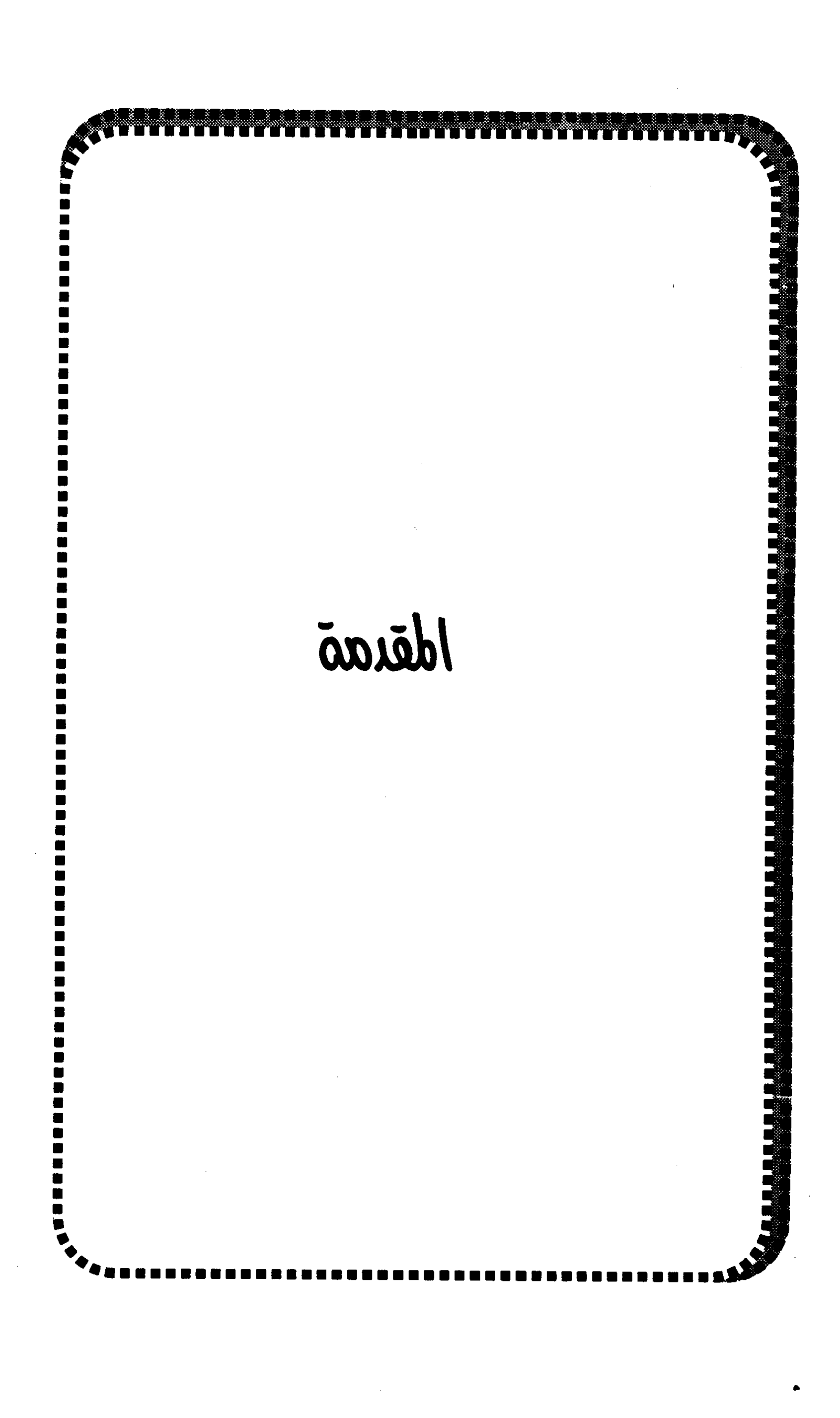
(ذو النورين)

المؤلف

محمد عبده

مكتبة الإيمان - المنصورة





المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذى كتب لنفسه البقاء، وكتب على خلقه الفناء، خالق الأرض وما عليها من كائنات ، ورافع السماء ومابها من سابحات ، إن لم يرحمنا الإله فمن لنا عند السكرات .

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهرًا علانية لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لابد موردهم وليس يدور من ينجو ومن يقع
وأمست الطير والأنعام آمنة والنون فى البحر لا يخشى لها فزع
والآدمى بهذا الكسب مرتهن إلى رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفردا وخصمه الجلد والأبصار والسمع
وإذ يقومون والأشهاد قائمة والجن والإنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف فى الأيدى منشرة فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأنباء واقعة عما قليل وما تدرى بما تقع
أفى الجنان وفوز لاانقطاع له أم فى الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طورًا وترفعهم إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم هيهات لارقة تغنى ولا جزع

لا شىء سوى رضاك عنا يا إلهنا فنسألك الرضا والفوز بطاعتك.

والصلاة والسلام على سيد الأبرار ، محمد بن عبد الله، خيار من

خيار صلوات ربى وسلامه عليه وعلى صحابته الأبرار .

أما بعد :

فهذا هو الكتاب الثالث فى كتب الدروس والمواعظ ، وسوف يتناول بأمر المولى عز وجل الدروس والمواعظ من حياة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، القائل فى حق نفسه صدقا ، أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركضه بقدمه ثم قال : « **اسكن حراء ليس عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد** » وأنا معه .

فانتشد له رجال .

وقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثنى إلى المشركين من أهل مكة قال: هذى يدى وهذه يد عثمان فبايع.

فانتشد له رجال .

وقال : أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ قال : « **من يوسع لنا بهذا البيت فى المسجد ببيت له فى الجنة ؟** » فابتعته من مالى ، فوسعت به المسجد.

فانتشد له رجال.

وقال: وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة : قال: « **من ينفق اليوم نفقة متقبلة ؟** »

فجهزت نصف الجيش من مالى .

فانتشد له رجال .

وقال : أنشد بالله من شهد رُومة يباع ماؤها ابن السبيل ، فابتعتها من مالى فأبحتها ابن السبيل .

فانتشد له رجال [١] .

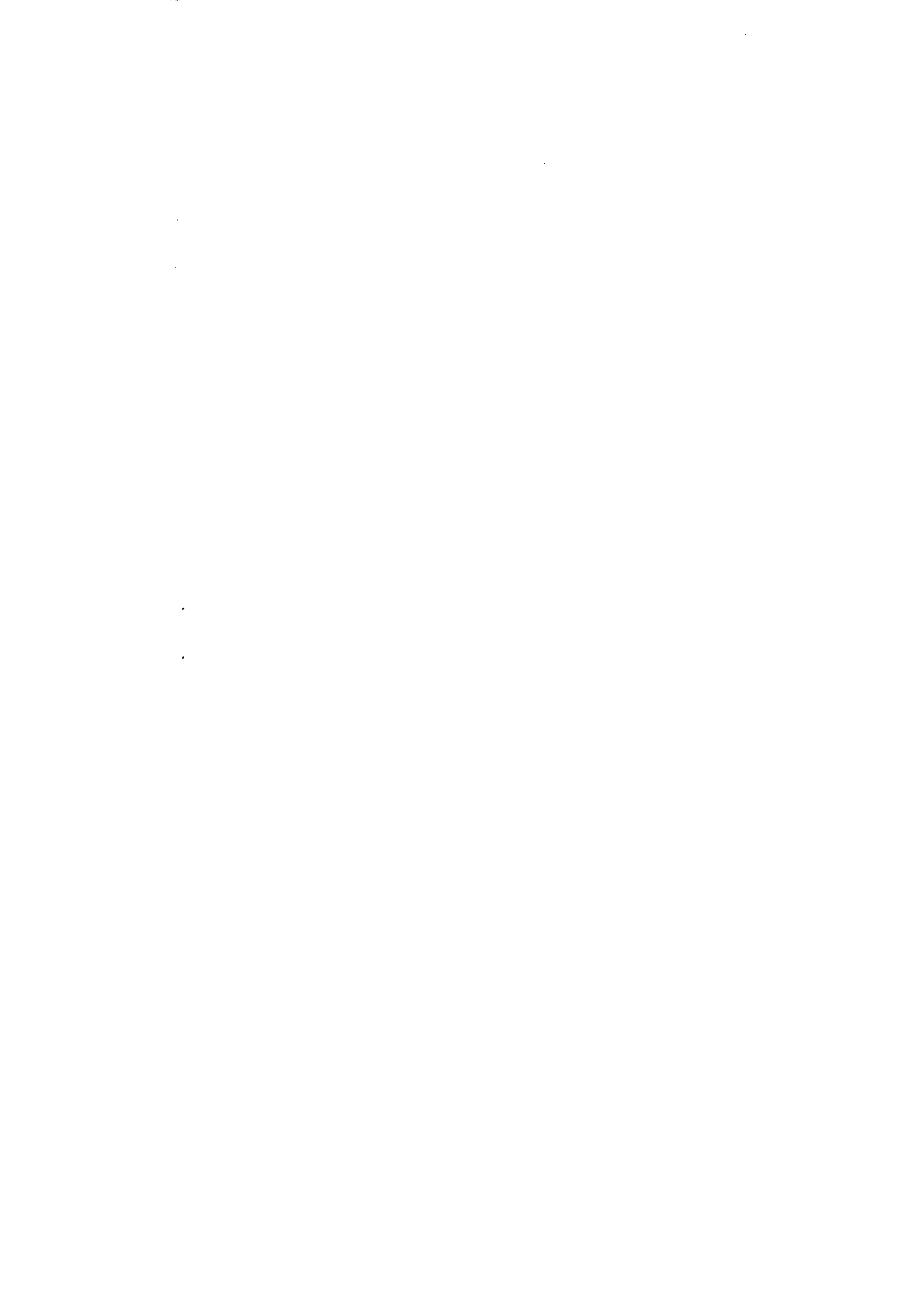
هذا الحديث يدل على مكانة هذا العملاق الذى نتحدث عنه والرجال المنتشدين فى الحديث السابق هم الصحابة يشهدون له بصدق ما قيل فهذا العملاق صاحب أعظم أثر فى الصدقة واللين والحب والإخلاص والتسامح وخفض الجناح . هذا الصحابى المبشر بشهادته المبارك له فى ماله ولو أردنا الحديث عن كل صفة كانت بهذا العملاق ما استطعنا إحصاء الصفات الحميدة فيه ولكنى أرجو من الله أن أوفق فى هذا الكتاب المتواضع بشرح صورة ولو مبسطة لجانب الموعظة والدرس فى حياة هذا العملاق .

المؤلف

محمد عبده

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٥٩/١ .



الفصل الأول

الصدقة وتعريف الإمام

- فضل الصدقة .
- التعريف بالإمام .
- أولا : عند العلامة الطبرى .
  - نسبه وصفته
  - قصة الشورى .

- ثانيا : تعريفه عند الإمام النبهانى :

كرامات الإمام

ثالثا : تعريفه عند ابن الجوزى

- نسبه . صفته . إسلامه . مكانته
- منهج الأمير فى حياته - عظمة الإمام
- ماذا أحب الأمير فى النساء

رابعا : تعريفه عند العلامة الخضرى :

نسبه . إسلامه . مكانته

- ذرب اللسان وعفو الإمام

خامسا : تعريفه عند العلامة السيوطى :

نسبه - إسلامه - صفته - مكانته

- أوليات الأمير

وأخيراً تعريفه عند أبى نعيم :

(الخائف ذو الهجرتين)

الإفادة : النقطة الأولى : براءة الذمة

- المسيح معلم الخير
- مواعظ الأوزاعى
- النقطة الثانية : « قطع الرقاب » .

الفصل الأول
الصدقة وتعريف الإمام

فى كتاب (الدروس والمواعظ فى حياة الصديق) كان الفصل الأول يتحدث عن تعريف الموعظة لأن الموعظة كانت هى الجانب الأكبر فى حياة الصديق ، فقد كان أكبر همه نشر الدعوة الإسلامية وتكملة المسيرة المحمدية ، أما فى كتاب الدروس والمواعظ فى حياة الفاروق فقد تحدثنا فى الفصل الأول عند ترك الدنيا وهذا لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان مشهورا بزهده فى الدنيا وكان الجانب الأكبر فى حياته مخصصًا لدفع وهجر شهواتها وملذاتها ؟ ولقد قال عنه معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه : «**أرادته الدنيا ولم يردها** » لذا فقد تحدث الفصل الأول عن ترك الدنيا ، أما بالنسبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه فكان الجانب الأكبر فى حياته مخصصًا للصدقة والإنفاق فى سبيل الله لذا فيجب أن يخصص الفصل الأول لتعريف الصدقة وفضلها وتعريف الإمام وحتى لا أطيل فهيا بنا سويا نبدأ تعريف الصدقة .

تعريف الصدقة :

يقول العلامة ابن منظور :

الصدقة ما تصدقت به على الفقراء ، والصدقة : ما أعطيته فى ذات الله للفقراء [١] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور : ٧ / ٣٠٩ .

فضل الصدقة :

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى :حدثنا محمد ابن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا ابن إدريس عن ليث بن أبى سليم عن ميمون بن مهران عن أبى ذر ﷺ قال : الصلاة عماد الإسلام والجهاد سنام العمل والصدقة شيء عجيب ، وسئل عن الصوم فقال : قربة وليس هناك فضل . قيل فأى الصدقة أفضل ؟ قال : أكثرها فأكثرها ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران : ٩٢] قيل : فمن لم يكن عنده ، قال : فعفو مال ؟ يعنى يتصدق بفضل مال، قيل : فمن لم يكن عنده مال؟ ، قال: فعفو طعام ، قيل : فمن لم يكن عنده ؟ قال: يعين بقوته ، قيل : فمن لم يفعل ؟ قال يتقى النار ولو بشق تمرة ، قيل : فمن لم يفعل ؟ قال: يكف نفسه ، يعنى لا يظلم الناس .

وعن أبى الدرداء ﷺ أن النبى ﷺ قال:«**ما طلعت شمس إلا بعث الله بجنبتيها ملكان يناديان وإنهما يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين، أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى. وملكان يناديان : اللهم عجل لمنفق ماله خلفا . وعجل لممسك ماله تلفا** » .

وروى أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : « **ما نقص مال من صدقة قط ، ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا؟ وما تواضع رجل لله إلا رفعه الله تعالى** » .

وقال ابن مسعود ﷺ : درهم ينفقه أحدكم فى صحته وشحه

أفضل من مائة يوصى بها عند الموت [١] .

وللصدقة فضائل عظيمة وتحضرنى قصه حكاها لنا استاذنا وهى : يروى أن موسى عليه السلام مر بقوم قد اشتد بهم الحال فدعا الله لهم، فقيل له : يا موسى سنفتح عليهم عامين وبالفعل نزل عليهم الفضل واليمن والبركة ولكن بعد أكثر من عامين مر سيدنا موسى عليه السلام على هؤلاء القوم فوجدهم فى أحسن حال وقد فتحوا أربع أبواب لمن يطلب منهم الصدقة ، فقال موسى عليه السلام : أخبرت أن الفتح عليهم سيكون لمدة عامين ، وقد تجاوزنا العامين .

وأرى أنهم بأحسن حال ، فقيل له : يا موسى فتحنا لهم بابان ففتحوا أربعة والله وحده هو أكرم الأكرمين ، فسيفتح عليهم جزاءًا لمسارعتهم فى الخير والصدقة .

وإذا أردنا ذكر الأحاديث والقصص فى فضل الصدقة لاحتجنا إلى مجلدات ، ولكنى أكتفى بهذه الكلمات البسيطة فى فضل الصدقة عوكم لننتقل سويًا إلى التعريف بالإمام عثمان بن عفان ﷺ .

التعريف بالإمام

كما هو المعتاد فى كتبنا الخاصة بالموعظة سنجرى التعريف إن شاء الله عن طريق الجمع من العديد من الكتب حتى يتسنى لنا الجمع البسيط المحيط والله أسأل التوفيق .

أولا : عند العلامة الطبرى :

أ ـ نسبه وصفته :

هو عثمانُ بن عفان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى .

وأمه أروَى ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد

(١) جميع ما جاء فى فضل الصدقة من كتاب تنبيه الغافلين للسمرقندى : ١٣٠ ـ ١٣٣ .

مناف بن قصى ، وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب . هذا نسبه .

أما بالنسبة لصفته فيقول الإمام ابن جرير : حدثنى زياد بن أيوب ، قال: حدثنا هشيم ، قال : زعم أبو المقدام ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : دخلت المسجد ، فإذا أنا بعثمان ﷺ متكئًا على ردائه، فنظرت إليه ، فإذا رجل حسن الوجه ، وإذا بوجهه نُكُتَات من جدَرِى، وإذا شعره قد كسا ذراعيه .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : سألت عمرو بن عبد الله بن عنبسة وعروة بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن أبى الزناد عن صفة عثمان، فلم أر بينهم اختلافا قال : كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، كث اللحية عظيمها، أسمر اللون ، عظيم الكراديس [٤] عظيم ما بين المنكبين كثير شعر الرأس، يصفر لحيته .

وحدثنى أحمد بن زهير ، قال : حدثنا أبى ، قال: حدثنا وهب ابن جرير بن حازم ، قال: سمعت أبى يقول : سمعت يونس بن يزيد الأيلى ، عن الزهرى قال : كان عثمان رجلاً مربوعًا ، حسن الشعر ، حسن الوجه ، أصلع أروح [٥] الرجلين [٦] .

قصة الشورى :

هذه قصة طويلة ولكن اسمحوا لى أن أعرض عليكم واطلب منكم

(٤) الكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظمين التقيا فى مفصل .

(٥) أروح الرجلين : أى منفرج ما بينهما.

(٦) نسبه وصفته فى تاريخ الأمم والملوك للطبرى : ٥ / ٤٣٩ ـ ٤٤١ .

قراءتها بغاية فى التمعن ؛ لأن بها نقاط غاية فى الأهمية سوف أوضحها إن شاء الله فى الإفادة ولكن قبل دخول القصة أرشدكم إلى أهم لة وهى أن عثمان بن عفان ﷺ انتخب بإجماع من عامة الناس احفظوا هذه النقطة جيدا وتابعوا القصة ثم يكون تعليقنا فى الإفادة إن شاء الله .

يقول العلامة الطبرى :

عن عمرو بن ميمون الأودى أن عمر بن الخطاب لما طُعِن قيل له: يا أمير المؤمنين ، لو استخلفت ، قال: من أستخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًا لاستخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول: « **إنه أمين هذه الأمة** » ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيًا لاستخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول : « **إن سالمًا شديد الحب لله** ».

فقال له رجل : أدلك عليه « يقصد أدلك على من توليه الخلافة »؟ عبد الله بن عمر فقال: قاتلك الله ، والله ما أردت الله بهذا ، ويحك! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته ! لا أرب «رغبة» لنا فى أموركم، ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى ، إن كان خيرًا فقد أصبنا منه ، وإن كان شرًا فشر عنا آل عمر ، بحسب أن يحاسب منهم رجل واحد ، ويسأل عن أمر أمة محمد ، أما لقد جهدت نفسى ، وحرمت أهلى ، وإن نجوت كفافا لا وزر ولا أجر إنى لسعيد ، وأنظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى؟ وإن أترك فقد ترك من هو خير منى ولن يضيع الله دينه ، فخرجوا ثم راحوا

فقالوا : يا أمير المؤمنين لو عهدت عهد ! فقال :

قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكم أن أنظر فأولى رجلاً أمركم ، هو أحراكم أن يحملكم على الحق - وأشار إلى على - ورهقتنى غشية ، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها ، فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه إليه ويصيره تحته ، فعملت أن الله غالب على أمره ، ومتوف عمر ، فما أريد أن أتحملها حيًا وميتًا ، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ : « **إنهم من أهل الجنة** » سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ، ولست مدخله ، ولكن الستة : على وعثمان ابنا عبد مناف، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله ﷺ ، والزبير بن العوام حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته ، وطلحة الخير بن عبيد الله ، فليختاروا منهم رجلاً ، فإذا ولوا واليًا فأحسنوا مؤازرته وأعينوه ، إن ائتمن أحدًا منكم فليؤد إليه أمانته .

وخرجوا فقال العباس لعلى : لا تدخل معهم . قال: أكره الخلاف قال : إذا ترى ما تكره ؟! فلما أصبح عمر دعا عليًا وعثمان وسعدًا وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ، فقال : إنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وقد قُبضَ رسول الله ﷺ وهو عنكم راض ، إنى لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ، ولكنى أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها ، فتشاوروا واختاروا رجلا منكم ، ثم قال: لا تدخلوا حجرة عائشة ، ولكن كونوا قريبًا ، ووضع رأسه وقد نزفه الدم.

فدخلوا فتناجوا ، ثم ارتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر: سبحان الله ! إن أمير المؤمنين لم يمت بعد ، فأسمعه فانتبه فقال:

ألا أعرضوا عن هذا أجمعون ، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب ، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، ويحضر عبد الله بن عمر مشيرًا ، ولا شيء له من الأمر ، وطلحة شريككم فى الأمر ، فإن قدم الثلاثة فأحضروه أمركم ، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم ، ومن لى بطلحة ؟ فقال سعد ابن أبى وقاص : أنا لك به ، ولا يخالف إن شاء الله ، فقال عمر : أرجو ألا يخالف إن شاء الله ، وما أظن أن يلى إلا أحد هذين الرجلين: على أو عثمان ، فإن ولى عثمان فرجل فيه لين ، وإن ولى على ففيه دعابة ، وأحر به أن يحملهم على طريق الحق ، وإن تولوا سعدًا فأهلها هو ، وإلا فليستعن به الوالى ، فإنى لم أعزله عن خيانة ولا ضعف ، ونعم ذو الرأى عبد الرحمن بن عوف ! مسدد رشيد ، له من الله حافظ فاسمعوا منه .

وقال لأبى طلحة الأنصارى : يا أبا طلحة ، إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم ، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار ، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال للمقداد بن الأسود ، إذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلا منهم وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدًا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ولاشئ له من الأمر ، وقم على رؤوسهم ، فإن

اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه ـ أو اضرب رأسه بالسيف وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان ، فاضرب رؤوسهما ، فإن رضى ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلا منهم ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس .

فخرجوا ، فقال على لقوم كانوا معه من بنى هاشم : إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبدًا . وتلقاه العباس ، فقالت : عدلت عنا !، فقال: وما علمك ؟ ، قال: قرِن بني عثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلا ، ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، فسعد لا يحالف ابن عمه عبد الرحمن، وعبد الرحمن صهر عثمان، لا يختلفوا ، فيوليها عبد الرحمن عثمان ، أو يوليها عثمان عبد الرحمن ، فلو كان الأخوان معى لم ينفعانى بل إنى لأرجو إلا أحدهما . فقال له العباس : لم أرفعك فى شىء إلا رجعت إلى مستأخرًا بما أكره أشرت عليك عند وفاة رسول الله ﷺ أن تسأله فيمن هذا الأمر ، فأبيت وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت، وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى ألا تدخل معهم فأبيت ، احفظ عنى واحدة ، كلما عرض عليك القوم ، فقل : لا ، إلا أن يولوك ، واحذر هؤلاء الرهط ، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا ، وايم الله لا يناله إلا بشرّ لا ينفع معه خير ، فقال على : أما لئن بقى عثمان لأذكرنه ما أتى ولئن مات

ليتداولنها بينهم ، ولئن فعلوا ليجدنى فى حيث يكرهون ثم تمثل :

حلفت برب الراقصات [٧] عشية غدون خفافا فابتدرن المُحصبا[٨]

ليختلين رهط ابن يَعْمَرَ مارئــا نجيعا بنو الشُّدَّاخِ وردًا مُصلَّبـا

والتفت فرأى أبا طلحة فكره مكانه ، فقال أبو طلحة : لم تُرَعْ أبا الحسن .

فلما مات عمر وأخرجت جنازته ، تصدى على وعثمان : أيهما يصلى عليه فقال عبد الرحمن : كلاكما يحب الإمرة ؟ لستما من هذا فى شىء ، هذا إلى صهيب ، استخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثًا حتي يجتمع الناس على إمام فصلى عليه صهيب فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى فى بيت المِسْور بن مخرَمة ـ ويقال فى بيت المال ، ويقال فى حجرة عائشة بإذنها ـ وهم خمسة ، معهم ابن عمر ، وطلحة غائب، وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما [٩] سعد وأقامهما ، وقال : تريدان أن تقولا : حضرنا وكنا فى أهل الشورى ! فتنافس القوم فى الأمر ، وتعثر بينهم الكلام ، فقال أبو طلحة : أنا كنت لأن تدفعوها أخوف منى لأن تنافسوها ! لا والذى ذهب بنفس عمر ، لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التى أمرتم ، ثم أجلس فى بيتى ، فأنظر ما تصنعون ! فقال عبد الرحمن : أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟

---

(٧) الراقصات : الإبل الراكضة سير الخبب .

(٨) المحصب : موضع رمى الجمار فى الحج .

(٩) حصب : ضرب بالحصى .

فلم يجبه أحد ، فقال: فأنا أنخلع منها ، فقال عثمان : أنا أول من رضى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أمين فى الأرض أمين فى السماء**» فقال القوم : قد رضينا ـ وعلى ساكت ـ فقال: ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال : أعطنى موثقًا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى، ولا تخص ذا رحم ، ولا تألو الأمة ، فقال: أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على من بدل وغير ، وأن ترضوا من اخترت لكم ، على ميثاق الله ألا أخص ذا رحم لرحمه ، ولا آلو المسلمين .

فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله ، فقال لعلى : إنك تقول : إنى أحق من حضر بالأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك فى الدين ولم تبعد، ولكن أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر ، من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر ، قال عثمان، وخلا عثمان، فقال : تقول : شيخ من بنى عبد مناف ، وصهر رسول الله ﷺ وابن عمه ، لى سابقة وفضل ـ لم تبعد ـ فلن يصرف هذا الأمر عنى ، ولكن لو لم تحضر فأى هؤلاء الرهط تراه أحق به ؟ قال: على . ثم خلا بالزبير ، فكلمه بمثل ما كلم به عليا وعثمان ، فقال: عثمان . ثم خلا بسعد ، فكلمه ، فقال: عثمان فلقى على سعدًا، فقال: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ① ﴾ [النساء: ١] أسألك برحم ابنى هذا من رسول الله ﷺ وبرحم عمى حمزة منك ألا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرًا على ، فإنى أدلى بما لا يدلى به عثمان، ودار عبد الرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله ﷺ ومن وافي من المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس ، يشاورهم ، ولا يخلو برجل

إلا أمره بعثمان ؟ حتى إذا كانت الليلة التى يستكمل فى صبيحتها الأجل، أتى منزل المسور بن مخرمة بعد ابهيرار [11] من الليل فأيقظه فقال: ألا أراك نائمًا ولم أذق فى هذه الليلة كثير غُمض ! انطلق فادع الزبير وسعدًا .

فدعاهما فبدأ بالزبير فى مؤخر المسجد فى الصُّفَّة التى تلى دار مروان ، فقال له : خلّ ابنى عبد مناف وهذا الأمر ، قال : نصيبى لعلى، وقال لسعد : أنا وأنت كلالة [12] فاجعل نصيبك لى فأختار ، قال : إن اخترت نفسك فنعم وإن اخترت عثمان فعلى أحب إلى ، أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا ، وارفع رؤوسنا ، قال : يا أبا إسحاق ، إنى قد خلعت نفسى منها على أن أختار ولو لم أفعل وجعل الخيار إلى لم أردها ، إنى أريت كروضة خضراء كثيرة العسب فدخل فحل فلم أر فحلاً قط أكرم منه ، فمر كأنه سهم لا يلتفت إلى شىء مما فى الروضة حتى قطعها ، لم يعرج . ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج من الروضة ، ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه ، يلتفت يمينا وشمالاً ويمضى قصد الأولين حتى خرج ، ثم دخل بعير رابع فرتع فى الروضة، ولا والله لا أكون الرابع ، ولا يقوم مقام أبى بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه . قال سعد : فإنى أخاف أن يكون الضعف قد أدركك ، فامض لرأيك ، فقد عرفت عهد عمر .

وانصرف الزبير وسعد ، وأرسل المسور بن مخرمة إلى على ،

---

(١٠) ابهيرار الليل : طلوع نجومه .

(١٢) كلالة : أقارب .

فناجاه طويلاً ، وهو لا يشك أنه صاحب الأمر ، ثم نهض ، وأرسل المسور إلى عثمان فكان فى نجيهما ، حتى فرق بينهما أذان الصبح . فقال عمرو بن ميمون : قال لى عبد الله بن عمر : يا عمرو، من أخبرك أنه يعلم ما كلم به عبد الرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم ، فوقع قضاء ربك على عثمان ، فلما صلوا الصبح جمع الرهط ، وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار وإلى أمراء الأجناد ، فاجتمعوا حتى التج (١٣) المسجد بأهله ، فقال : أيها الناس ، إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم فقال عبد الله بن زيد : إنا نراك لها أهلا، فقال: أشيروا على بغير هذا، فقال عمار : إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع عليا . فقال المقداد بن الأسود : صدق عمار، إن بايعت عليا قلنا : سمعنا وأطعنا . قال ابن أبى سرح : إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان . فقال عبد الله بن أبى ربيعة : صدق ، إن بايعت عثمان قلنا : سمعنا وأطعنا . فشتم عمار ابن أبى سرح ، وقال : متى كنت تنصح المسلمين !

فتكلم بنو هاشم وبنو أمية ، فقال عمار : أيها الناس ، إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه ، وأعزنا بدينه، فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم! فقال رجل من بنى مخزوم : لقد عدوت طورك يابن سمية (١٤) وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ! فقال سعد بن أبى وقاص : يا عبد الرحمن، افرغ قبل أن يفتتن الناس ، فقال عبد الرحمن : إنى نظرت

---

(١٣) التج : اضطراب ، والتج المسجد بأهله أى اضطرب بأهله.

(١٤) سمية : هى أم عمار بن ياسر ، وهى أول شهيدة فى الإسلام .

وشاورت ، فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلا . ودعا عليًا ، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده ؟ قال : أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى ، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلى ، قال : نعم فبايعه ، فقال على: حبوتَه [١٥] حبو دهر ، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم هو فى شأن ، فقال عبد الرحمن : يا على لا تجعل على نفسك سبيلا ، فإنى قد نظرت وشاورت الناس ، فإذا هم لا يعدلون بعثمان . فخرج على وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله ، فقال المقداد : يا عبد الرحمن ، أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون . فقال : يا مقداد ، والله لقد اجتهدت للمسلمين ، قال: إن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين . فقال المقداد : ما رأيت مثل ما أوتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم ، إنى لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول إن أحدًا أعلم ولا أقضى منه بالعدل ، أما والله لو أجد عليه أعوانا ! فقال عبد الرحمن : يا مقداد ، اتق الله، فإنى خائف عليك الفتنة ، فقال رجل للمقداد : رحمك الله! من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل ؟ قال : أهل البيت بنو عبد المطلب ، والرجل على بن أبى طالب . فقال على : إن الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر إلى بيتها فتقول : إن ولى عليكم بنوها ثم لم تخرج منهم أبدا ، وما كانت فى غيرهم من قريش تداولتموها بينكم . وقدم طلحة

---

(١٥) حبوته : فضلته وأعطيته .

فى اليوم الذى بويع فيه لعثمان، فقيل له : بايع عثمان ، فقال: أكل قريش راض به ، قال : نعم ، فأتى عثمان فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك ، إن أبيت رددتها ، قال: أتردها ؛ قال: نعم ، قال: أكلُّ الناس بايعوك ؛ قال: نعم ، قال: قد رضيت ، لا أرغب عما قد أجمعوا عليه ، وبايعه (١٦) .

ثانيا : تعريفه عند الإمام النبهانى

إن عثمان ﷺ وأرضاه كان شديد التواضع ، شديد الطيبة ، حسن الخلق ، ذو رأفة ورحمة ، نقى السريرة ، شديد الإخلاص والوفاء، وكفانا ذكر لصفاته الحسنه فلو جلسنا فى محاولة إحصائها لاحتجنا إلى مجلدات فمن أرق وأعبر من عثمان ﷺ ، وبالطبع من يتسم بهذه الصفات سنجد له كرامات ، هذا الكرامات ذكرها لنا الإمام النبهانى ونضعها تحت عنوان .

كرامات الإمام :

عثمان بن عفان ﷺ من كراماته : ما ذكره التاج السبكى فى «الطبقات » وغيره ، أنه دخل إليه رجل كان قد لقى امرأة فى الطريق فتأملها فقال له عثمان ﷺ : يدخل أحدكم وفى عينيه أثر الزنا ، فقال الرجل : أوحى بعد رسول الله ﷺ ؛ قال : لا ولكنها فراسة المؤمن ، وإنما أظهر عثمان ﷺ هذا تأديبا لهذا الرجل وزجرا له عن شىء صنعه .

---

(١٦) تاريخ الأمم والملوك للعلامة الطبرى : ٥/ ٢٢٣ ـ ٢٣١ .

قال رحمه الله : واعلم أن المرء إذا صفا قلبه صار ينظر بنور الله فلا يقع بصره على كدر أوصاف إلا عرفه ، ثم تختلف المقامات ، فمنهم من يعرف أن هناك كدرا ولا يدرى ما أصله ، ومنهم من يكون أعلى من هذا المقام فيدرى أصله ، كما اتفق لعثمان رضي الله عنه ، فإن تأمل الرجل للمرأة أورثه كدرا فأبصره عثمان وفهم سببه.

وهنا دقيقة : وهى أن كل معصية لها كدر ، وتورث نكتة سوداء فى القلب بقدرها فيكون رينا على ما قال تعالى ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ إلى أن يستحكم والعياذ بالله ، فيظلم القلب وتغلق أبواب النور ، فيطبع عليه فلا يبقى سبيل إلى توبته على ما قال تعالى: ﴿**وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** ﴿٨٧﴾ ﴾ [التوبة: ٨٧] .

إذا عرفت هذا فالصغيرة من المعاصى تورث كدرا صغيرا بقدرها ، قريب المحو بالاستغفار وغيره من المكفرات ، ولا يدركه إلا ذو بصر حاد كعثمان رضي الله عنه حيث أدرك هذا الكدر اليسير ، فإن تأمل المرأة من أيسر الذنوب ، وأدركه عثمان وعرف أصله ، وهذا مقام عال يخضع له كثير من المقامات ، وإذا انضم إلى الصغيرة صغيرة أخرى ازداد الكدر ، وإذا تكاثرت الذنوب بحيث وصلت والعياذ بالله إلى ما وصفناه من ظلام القلوب صار بحيث يشاهده كل ذى بصر ، فمن رأى متضمخا بالمعاصى قد أظلم قلبه ولا يتفرس فيه ذلك ، فليعلم أنه إنما لم يبصره لما عنده أيضا من العمى المانع للإبصار ، وإلا فلو كان بصيرا لأبصر هذا الظلام الداجى ، فبقدر بصره يبصره ، فافهم ما نتحفك به والله أعلم . أ.هـ .

وأخرج الباوردى وابن السكن عن ابن عمر ﷺ قال : قام جهجاه الغفارى إلى عثمان ﷺ وهو على المنبر ، فأخذ عصاه فكسرها ، فما حال على جهجاه الحول حتى أرسل الله فى يده الأكلة فمات منها .

وأخرج ابن السكن من طريق فليح بن سليمان ، عن عمته ، عن أبيها وعمها : أنهما حضرا عثمان ، فقام إليه جهجاه الغفارى حتى أخذ القضيب من يده فوضعها على ركبته فكسرها ، فصاح به الناس ، فرمى الله الغفاري فى ركبته فلم يحل الحول حتى مات . هذا ما ذكرته في «حجة الله على العالمين » ثم رأيت فى « طبقات المناوى » نقلا عن ابن ياطيش فى كتابه « إثبات الكرامات » أن عبد الله بن سلام ﷺ قال: أتيت عثمان ﷺ لأسلم عليه وهو محصور ، فقال: مرحبا يا أخى ، رأيت رسول الله ﷺ فى هذه الخوخة فقال: يا عثمان حصروك ؛ قلت: نعم ، فأدلى لى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت ، وقال: إن شئت نصرت ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم أ.هـ .

قال الجلال السيوطى : وهذه القصة مشهورة مخرجة فى كتب الحديث بالإسناد وخرجها الحارث بن أبى أسامة وغيره قال: وقد فهم المصنف ، يعنى ابن باطيش أنها رؤية يقظة ، وإلا لم يصح عدها في الكرامات ، لأن رؤيا المنام يستوى فيها كل أحد، وليست من الخوارق المعدودة فى الكرامات ، ولا ينكرها من ينكر كرامات الأولياء أهـ كلام المناوى[١٧] .

---

(١٧) جامع كرامات الأولياء ليوسف بن إسماعيل النبهانى ١/ ١٥٠ ، ١٥١ .

ثالثا : تعريفه عند ابن الجوزي :

أ - نسبه ، صفته ، إسلامه ، ومكانته :

نسبه : هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى . يكنى أبا عمرو، ويقال : أبا عبد الله.

وأمه أروي بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأمها أم حكيم ، وهى البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

كان عثمان يكنى فى الجاهلية أبا عمرو ، فلما ولد فى الإسلام من رقية عبد الله اكتنى به ، فبلغ ست سنين فنقره ديك فى عينه ، فمرض، فمات .

صفته : كان عثمان حسن الوجه ، رقيق البشرة ، بوجهه نكتات من جدرى ، ليس بالقصير ولا الطويل ، كبير اللحية عظيمها ، أسمر اللون ، عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين ، أصلع ، وكان نقش خاتمه (آمن عثمان بالله العظيم) .

إسلامه ومكانته : قال : الواقدى أسلم عثمان قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وهاجر إلى الحبشة الهجرتين معه رقية بنت رسول الله ﷺ .

روى المؤلف بإسناده عن موسى بن إبراهيم التيمى ، عن أبيه قال: أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخذه عمه الحكم بن أبى العاص ، فأوثقه رباطًا وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث ؛ والله لا أخليك أبدًا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين . فقال عثمان : «والله

لا أدعه أبدًا ولا أفارقه » .

فلما رأى الحكم صلابته فى دينه تركه .

قال علماء السير : لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر خلف عثمان على ابنته رقية ، وكانت مريضة فماتت يوم قدم زيد بن حارثة بشيرًا بما فتح الله على رسول الله ببدر . فضرب رسول الله ﷺ بهمه وأجره فى بدر فكان كمن شهدها وزوجه أم كلثوم بعد رقية ، فماتت فقال : « **لو كان عندى ثالثة لزوجت عثمان** » .

واستخلفه رسول الله ﷺ فى غزوة ذات الرقاع ، وفي غزوته إلى غطفان (١٨) .

من خلال ما كتب نرى أن مكانة عثمان بن عفان رضي الله عنه مكانة عظيمة أتدورن لم؟. لقول رسول الله ﷺ **«لو كان عندى ثالثة لزوجت عثمان»** وهذا يدل على مكانته العالية عند رسول الله ﷺ ، ومن علت مكانته عند رسول الله ﷺ ، تعلو مكانته عند رب العزة وكفاه بذلك فخرًا وحسن مكانه.

٢ - منهج الأمير في حياته :

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه واسع الثراء ، وكان ثراءه من تجارته ، فقد كان رضي الله عنه تاجرًا ماهرًا رابحًا ، ولم تكن تجارته دنيوية وفقط بل كان يتاجر أيضًا مع الله حتى يربح آخرته والتجارة مع الله كانت بالزكاة والصدقة والإقبال على الآخرة رغم كثرة الأموال ووضح منهجه فى خطبته التى ساقها الإمام ابن الجوزى وهى:

(١٨) نسبه ، صفته ، إسلامه ومكانته ، المنتظم لابن الجوزى ٣/ ٢٢٧ ، ٢٢٨.

روى المؤلف بإسناده عن بدر عن عثمان ، عن عمه قال : لما بايع أهل الشوري عثمان خرج وهو أشدهم كآبه ، فأتى منبر النبى ﷺ ، فخطب فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ وقال:

« إنكم فى دار قُلعة ، وفى بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فقد أتيتم صبِّحتم أو مُسِّيتم ، ألا إن الدنيا طويت على الغرور ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾ (١٩) واعتبروا بمن مضى ، ثم شدوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وأخوانها الذين آثروها ومتّعوا بها طويلاً؟

ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب مثلها فقال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ﴾ (٢٠) (٢١).

هذه الخطبة وضحت لنا جيدًا منهج هذا الإمام اللين شديد الجود سريع الطلب لرضى المولى عز وجل.

٣ - عظمة الإمام :

ذكرنا منهجه والعظمة فى تطبيق المنهج بحذافيره بل بأكثر من حذافيره خصوصا إذا كان هذا التطبيق من قِبل رجل يحكم الدول والإمارات وحتى لا نطيل فإليكم ما صنعه الإمام فى حياته دليلاً على عظمته.

---

(١٩) سورة لقمان : آية ٣٣ .

(٢٠) سورة الكهف : آية ٤٥ .

(٢١) المنتظم لابن الجوزى ٣/ ٢٢٩ .

كان أول كتاب كتبه عثمان ﷺ إلى عماله :

« أما بعد . .

فإن الله تعالى أمر الأئمة أن يكونوا دعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وإن صدر هذه الأمة خلفوا رعاة ، ولم يخلفوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ، ولا يصيروا دعاة ، ألا وإن عدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين ».

وروى المؤلف بإسناده عن الحسن قال : رأيت عثمان ﷺ نائما فى المسجد ورداءه تحت رأسه ، فيجىء الرجل فيجلس إليه، ثم يجىء الرجل فيجلس إليه ، ثم يجىء الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم.

وروى المؤلف بإسناده عن عبد الله الرومى ، قال: كان عثمان ﷺ يلى وضوء الليل بنفسه قال: فقيل له : لو أمرت بعض الخدم فكفوك . فقال : لهم الليل يستريحون فيه [٢٢] .

فرحمة الله عليك يا ابن عفان لا تريد أن ترهق الخدم . وتجلس مع الناس وأنت الأمير وكأنك منهم . وترسل إلى عمالكم توصيهم بعامة الناس والعدل . فرحمك الله ورحم الله كل من انتهج نهجك .

٤ ـ ماذا أحب الأمير فى النساء ؟! :

هذا السؤال هام جدًا ، فمعظمنا يحب الجمال ويعشق سحر المرأة بالطبع إلا من رحم ربى ، فمن كان يسير على درب الاستقامة ،يعشق أشياء فى المرأة غير جمالها ، فالجمال زائل لا محالة ، فالشيب يقتل

(١) المنتظم : ٣/ ٢٣٠ .

الجمال، ولكنه لا يقتل أشياءًا هى أهم ألف مرة من الجمال ، وحتى لا يكون بكلامى غموض اسمحوا لى أن أريكم ما كان يحبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان فى المرأة ثم احكموا بعد ذلك إن كان هذا أجمل أم أن الجمال المزعوم فى الوجه والجسد أجمل .

جاء فى المنتظم :

روى المؤلف بإسناده عن أبى عبيدة قال : لما تزوج عثمان بن عفان ﷺ نائلة بنت الفرافصة اهتداها فبعث بها أبوها إليه مع أخيها ضب ، فلما فصلت من السماوة إلى المدينة خرجت من فراق أهلها وبلادها فقالت :

أحقـا تـراه اليـوم ياضـب إننـى	مصاحبـة نحو المدينـة أركبـا
أما كان فى فتيان حصن بن ضمضم	لك الويل ما يغنى الخباء المحجبا
قضى الله حقا أن تمـوتى غريبـة	بيثـرب لا تلقـين امًا ولا أبـًا

قال ابن بطة : وحدثنى أبو صالح ، حدثنا أبو الأحوص ، حدثنا نعيم بن حماد ، وحدثنا ابن المبارك ، أخبرنا إسحاق بن طلحة ، عن مولى لطلحة : أن عثمان ﷺ استعمل الوليد بن عقبة على صدقات كلب ، فزوجه نائلة بنت الفرافصة الكلبي ، فلما قدم قال: إنى زوجتك نائلة بنت الفرافصة .

فقال: زوجتى نصرانية ؟

قال: إنها إذا قدمت إليك أسلمت .

فلما قدمت دخل عليها عثمان بن عفان ، فصلى ركعتين .

ثم قال : يا هذه تأتينا أو نأتيك ؟

فقامت حتى جلست إلى عثمان .

فقال لها عثمان : إنك لعلك ترين شيبًا وتقلبًا فى السن، فإن وراء ذلك غلالة من شباب .

فقالت : إن أحب الخلطاء إلىَّ لمن ذهبت عنه ميعة الشباب ، واجتمع حلمه ، ووثق برأيه .

فلما خرج قال له الناس : يا أمير المؤمنين ، كيف رأيت أهلك ؟ قال: رأيت أوفى عقلاً من الداخلة علىَّ (٢٣) .

أرأيتم ما يحب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ من النساء ، إنه يحب ذات العقل الراجح فإن الجمال الحقيقى فى المرأة هو رجاحة العقل فرجاحة العقل ، تولد اللسان المهذب والفعل الكريم الذى يُدعم به الرجل من قِبل المرأة أقول هذا والحكم لكم ولكن لتعلموا جيدًا أن جمال الجسد والوجه زيف زائل وجمال العقل ورجاحته تدفع المرء منا إلى سعادة حقيقية ولنا فى القصة السابقة أعظم دليل حيث رأينا كيف احتوت بنت الفرافصة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ بحسن حديثها، وما حسن حديثها إلا من رجاحة عقلها فاللهم أنعم على نسائنا برجاحة العقل وعلى رجالنا بحسن الاختيار حتى يقوي المجتمع الإسلامى .

وأختم هذه المسألة بقصة لابن الجوزى توضح مدى عزم هذه المرأة، وقبل أن أذكرها أقول لكم: إن المرأة إذا مات زوجها انهارت وإذا قتل

---

(٢٣) المنتظم : ٣/ ١١٨٠٠.

أصبحت كالدار الخرب لا حيلة لها ، ولكن بالطبع ليس هذا مع بنت الفرافصة ذات العقل الراجح فقد رأت زوجها يقتل فقلبت الموازين ثارت وكأنها بألف رجل وأرسلت طلبًا للثأر من أجل زوجها هذه هى المرأة التى يعتمد عليها فى الحياة أو عند الرحيل عنها ولتدعيم قولى فإليكم القصة . يقول ابن الجوزى :

ولما ضرب عثمان ﷺ بالسيف اتقت نائلة بنت الفرافصة بيدها، فقطعت إصبعان من أصابعها ، فلما قُتل كتبت إلى معاوية : من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبى سفيان .

« أما بعد . . .

فإنى أذكركم بالله الذى أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأبعدكم عن الكفر ، وأنشدكم الله فأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه . وأن أمير المؤمنين بُغى عليه وكنت مشاهدة أمره ، إن أهل المدينة حصروه يحرسونه ليلهم ونهارهم قيامًا على أبوابه سلاحهم حتى منعوه الماء إنه رُمى بالنبل والحجارة ، ثم أحرقوا باب الدار ، ثم دخلو عليه وأخذوا بلحيته وضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه فى صدره طعنات ، وقد أرسلت إليكم بثوبه ».

فحلف رجال من الشام ألا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم (٢٤) .

نعم النساء هى تقف بجوار زوجها فتسعده فى الرخاء وتمنع عنه عند الابتلاء وتثأر له عند الموت ، أرأيتم معى كيف إن المرأة راجحة العقل

(٢٤) المنتظم ٣/ ٣١١ ـ ٣١٢ .

هى أجمل بكثير من غيرها .

رابعا : تعريفه عند العلامة الخضرى :

نسبه - إسلامه - مكانته :

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشى .

وأمَّه : أروى بنت كُريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . ولد فى السنة الخامسة من ميلاد رسول الله ﷺ ، وشب على الأخلاق الكريمة والسيرة الحسنة ، حيًّا عفيفا .

ولما بعث الله محمدًا ﷺ كان عثمان من السابقين إلى الإسلام على يد الصديق رضي الله عنه .

وزوجه محمد ﷺ بنته « رُقيَّة » فلما أذى المشركون المسلمين هاجر رضي الله عنه مع زوجه إلى بلاد الحبشة ، ثم رجع إلى مكة قبل الهجرة إلى المدينة ، فلما أذن الله بها هاجر إليه هو وزوجه .

وحضر مع رسول الله ﷺ كل مشاهده ، ولكنه لم يحضر بدرًا لشغله بتمريض زوجه التى ماتت عقب انتصار المسلمين فيها ، وأسهم له رسول الله ﷺ فى غنيمتها ثم زوجه بنته الثانية « أم كلثوم » .

وكان ممن عفا الله عنهم فى أحد .

وكان فى عمرة الحديبية سفيرًا بين رسول الله ﷺ وبيت قريش فلما شاع غدرهم بعثمان بايع النبى أصحابه بيعة الرضوان ، وقال بيده اليمنى: «هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان».

وكان له فى جيش العُسرة إلى تبوك اليُد الطولى ، فقد أنفق من ماله أكثر مما جاء به غيره واشترى بئر رومة بما له ، ثم تصدق بها على المسلمين فكان رشاؤه فيها كرشاء واحد منهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **من حفر بئر رومة فله الجنة** » .

ولما توفى رسول الله ﷺ كان للخليفتين من بعده عاملاً أمينًا .

ولما أصيب المسلمون بقتل (عمر) كانت أغلبية الشورى له، فقام بأمر الخلافة خير قيام ، إلا أنه فى آخر مدَّته تغير بعض المسلمين عمَّا كانوا عليه فى عهد رسول الله ﷺ والشيخين من بعده ، ودَّبت إليهم الدُّنيا وحبها ، وهو رأس كل خطيئة ، فقام عليه جماعة من بُغاتهم ، فشتتوا شمل المسلمين بشقٍّ عصا الطاعة حتى تداعت أركان الخلافة ، وقُتِلَ ظلمًا رضي الله عنه وقد جاوز الثمانين من عمره (٢٥) .

حرب اللسان وعفو الإمام :

إن الإنسان منا إذا تقلد مفاتيح الإمارة علت نفسه ، وأصبح الحديث معه أمرًا متعسرًا ، فللنفوذ والقوة كيان يغير منا ولكن بالطبع هذا التغير لا يكون مع صحابة رسول الله ﷺ ، وأرجو من الله أن نجعلهم قدوة، لنا فنرق ونتواضع كما رقوا وتواضعوا ، وحتى يكون بكلامى وضوح فإليكم القصة التى ذكرها العلامة الخضرى:

فى السنة الثلاثين شكا معاوية أبا ذر لعثمان ، وكان مذهب أبى ذرٍّ أن المسلم لا ينبغى له أن يكون فى ملكه أكثر من قوت يومه وليله أو شىء ينفقه فى سبيل الله أو يُعِدُّه للتكريم مستدلاً بقوله تعالى:

---

(٢٥) إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء : ٢١٧ ، ٢١٨ .

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ (٢٦) .

فكان أبو ذر ﷺ يقوم بالشام ، ويقول : « يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من النار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ».

حتى أولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء ، فشكا الأغنياء وما يلقونه إلى معاوية ، فكتب فى شأنه إلى عثمان فأرسل إليه أن سيره إلى فلما قدم المدينة ورأى المجالس فى أصلع سلع قال: « بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار » .

ولما دخل على عثمان قال له : « ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك؟ » فأخبره .

فقال : « يا أبا ذر علىَّ أن أقضى ما علىَّ ، وأن أدعو الرَّعية إلى الاجتهاد والاقتصاد ، وما علىّ أن أخبرهم على الزهد ».

فقال أبو ذر : « لا ترضوا من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا إلى الجيران والأخوان ويصلوا القرابات » .

ثم طلب من عثمان أن يأذن له بالخروج من المدينة فإن رسول الله ﷺ أمره بذلك إذا بلغ البناء سلعًا فسيره إلى الرَّبذة ، فبنى بها مسجدًا وأقطعه عثمان قطعة من الإبل ، وأجرى عليه العطاء ، فأقام أبو ذر

---

(٢٦) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ .

منفردًا حتى أدركه الأجل المحتوم (٢٧) .

من هذه القصة نرى جمال التواضع ، وخفض الجناح ، فيجب أن لا تغيرنا السلطة ، ولا الجاه ، ولا النفوذ ، ولا المال ، تأسيا بمحمد ﷺ وصحابته الأجلاء رضوان الله عليهم .

خامسا : تعريفه عند العلامة السيوطي :

نسبه - إسلامه - صفته - مكانته :

عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، القرشى ، الأموى [المكى ، ثم المدنى] أبو عمرو ويقال : أبو عبد الله ، وأبو ليلى.

ولد فى السنة السادسة من الفيل ، وأسلم قديمًا ، وهو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين : الأولى إلى الحبشة ، والثانية إلى المدينة ، وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ قبل النبوة ، وماتت عنده فى ليالى غزوة بدر ، فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله ﷺ وضرب له سهمه وآجره ، فهو معدود فى البدريين بذلك.

وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة ، فزوجه رسول الله ﷺ بعدها أختها أم كلثوم ، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة .

قال العلماء : ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ، ولذلك سمى ذو النورين ، فهو من السابقين الأولين ، وأول المهاجرين ، وأحد

(٢٧) إتمام الوفاء للخضرى : ٢٣٠ - ٢٣٢ .

العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وأحدالصحابة الذين جمعوا القرآن ، بل قال ابن عباد : لم يجمع القرآن من الخلفاء إلا هو ، والمأمون .

وقال ابن سعد : استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة فى غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان .

روى له عن رسول الله ﷺ مائة حديث ، وستة وأربعون حديثًا.

أخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال: ما رأيت أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا حدث أتم حديثًا ، ولا أحسن ، من عثمان بن عفان ، إلا أنه كان رجلاً يهاب الحديث.

وأخرج عن محمد بن سيرين قال : كان أعلمهم بالمناسك عثمان ، وبعده ابن عمر .

وأخرج البيهقى فى سننه ، عن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفى قال : قال لى خالى حسين الجعفى : تدرى لم سمى عثمان ذا النورين؟ قلت : لا ، قال : لم يجمع بين بنتى نبى منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان ، فلذلك سمى ذا النورين.

وأخرج خيثمة فى فضائل الصحابة ، وابن عساكر عن على بن أبى طالب أنه سئل عن عثمان ؟ فقال : ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى ذا النوربن ، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه .

وقال : إنه كان يكنى فى الجاهلية أبا عمرو ، فلما كان الإسلام ولدت له رقية عبد الله فاكتن به.

وأمُه : أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها

أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، توأمة أبى رسول الله ﷺ فأم عثمان بنت عمة النبى ﷺ .

قال ابن إسحاق : وكان أول الناس إسلامًا بعد أبى بكر ، وعلى ، وزيد بن حارثة .

وأخرج ابن عساكر من طرق أن عثمان كان رجلاً ربعةً : ليس بالقصير ، ولا بالطويل ، حسن الوجه ، أبيض ، مُشربًا حمرة ، بوجهه نكتات جدرى ، كثير اللحية ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، خَدْلَ الساقين ، طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه ، جعد الرأس ، أصلع ، أحسن الناس ثغرًا ، جُمَّته أسفل من أذنيه ، يخضب بالصفرة ، وكان قد شد أسنانه بالذهب .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حزم المازنى قال : رأيت عثمان ابن عفان فما رأيت قط ذكرا ولا أنثى أحسن وجهًا منه .

وأخرج عن موسى بن طلحة قال: كان عثمان بن عفان أجمل الناس.

وأخرج ابن عساكر عن أسامة بن زيد قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى منزل عثمان بصحفة فيها لحم ، فدخلت ، فإذا رقية ﵂ جالسة ، فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ومرة أنظر إلى وجه عثمان، فلما رجعت سألنى رسول الله ﷺ ، قال لى : دخلت عليهما ؟ ، قالت : نعم ، قال: فهل رأيت زوجا أحسن منها ، قلت : لا يا رسول الله .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، قال:

لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية ، فأوثقه رباطًا ، وقال: ترغب عن ملة آبائك إلى دين مُحَدث ؟ والله لا أدعك أبدًا حتي تدع ما أنت عليه ، فقال عثمان : والله لا أدعه أبدًا، ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صلابته فى دينه تركه.

وأخرج أبو يعلى عن أنس ، قال: أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان ، فقال النبى ﷺ : « **صحبهما الله ! إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط** » .

وأخرج ابن عدى عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما زوج النبى ﷺ ابنته أم كلثوم قال لها : « **إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد**» .

وأخرج ابن عدى وابن عساكر عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إنا نُشبّه عثمان بأبينا إبراهيم [٢٨] .

أوليات الأمير !

أوليات عثمان بن عفان رضي الله عنه ! قال العسكرى فى الأوائل: « هو أول من أقطع القطائع ، وأول من حمى الحمى ، وأول من خفض صوته بالتكبير ، وأول من خلّقَ له »[٢٩] المسجد ، وأول من أمر بالأذان الأول في الجمعة ، وأول من رزق المؤذنين ، وأول من أُرتِجَ عليه فى الخطبة فقال : أيها الناس ، إن أول مرتب صعب ، وإن بعد اليوم أيامًا، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها وما كنا خطباء وسيعلمنا الله، أخرجه ابن سعد ، وأول من قدم الخطبة فى العيد على الصلاة

---

(٢٨) تاريخ الخلفاء للسيوطى : ١٥٤ ـ ١٥٦

(٢٩) خلّقَ : أى طيبه بطيب الخلوق .

وأول من فَوَّضَ إلى الناس إخراج زكاتهم ، وأول من ولى الخلافة فى حياة أمه ، وأول من اتخذ صاحب شُرطة ، وأول من اتخذ المقصورة فى المسجد خوفًا أن يصيبه ما أصاب عمر هذا ما ذكره العسكرى ، قال: وأول ما وقع الاختلاف بين الأمة فخطأ بعضُهم بعضًا فى زمانه فى أشياء نقموها عليه ، وكانوا قبل ذلك يختلفون فى الفقه ، ولا يخطئ بعضهم بعضًا (٣٠) .

وأخيرا : تعريفه عند أبي نعيم :[الخائف ذو الهجرتين] :

يقول العلامة أبى نعيم :

عثمان بن عفان ﷺ ثالث القوم القانت ذو النورين ، والخائف ذو الهجرتين ، والمصلى إلى القبلتين ، هو عثمان بن عفان ﷺ كان من «الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا » فكان ممن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه . غالب أحواله الكرم والحياء والحذر والرجاء ، حظه فى النهار الجود والصيام . ومن الليل السجود والقيام مبشر بالبلوى، ومنعم بالنجوى.

وقيد قيل : إن التصوف الإكباب على العمل، تطرقا إلى بلوغ الأمل.

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحيى ثنا مسعر ثنا أبو عون الثقفى عن محمد بن حاطب . قالوا : ذكروا عثمان بن عفان فقال الحسن بن على : الآن يجيء أمير المؤمنين ، قال فجاء على فقال على: كان عثمان من « الذين آمنوا وعملوا

---

(٣٠) تاريخ الخلفاء : ١٦٧ .

الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين » قال ـ هو عثمان بن عفان عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : « **عثمان أحيا أمتى وأكرمها** »، وعن ابن عمر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ : « **أشد أمتى حياء عثمان بن عفان**» .

حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى ثنا عبد الصمد ثنا أبو جميع ثنا الحسن قال ـ وذكر عثمان وشدة حيائه ـ فقال : إن كان ليكون فى البيت والباب عليه مغلق ؛ فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه .

وعن على بن رباح أن عبد الله بن عمر قال : ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها ، وأحسنها أخلاقا ، وأثبتها حياء ، إن حدثوك لم يكذبوك وإن حدثتهم لم يكذبوك ، أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح .

وعن عثمان بن عبد الرحمن التيمى قال : قال أبى : لأغلبن الليلة على المقام قال : فلما صليت العتمة تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه. قال : فبينا أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفى ، فإذا هو عثمان بن عفان، قال : فبدأ بأم القرآن فقرأ حتى ختم القرآن ، فركع وسجد ، ثم أخذ نعليه فلا أدرى أصلى قبل ذلك شيئا أم لا .

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا أبو يزيد القراطيسى ثنا أسد بن موسى ثنا سلام بن مسكين عن محمد بن سيرين ، قال : قالت امرأة عثمان ابن عفان حين أطافوا به يريدون قتله : إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيى الليل كله فى ركعة يجمع فيها القرآن .

ثنا حفص بن عمر الحوضى ثنا الحسن بن أبى جعفر ثنا مجالد عن الشعبى . قال : لقى مسروق الأشتر .

فقال مسروق للأشتر : قتلتم عثمان ؟

قال : نعم .

قال: أما والله لقد قتلتموه صواما قواما .

قال الشيخ رحمه الله : كان رضى الله تعالى عنه مبشرًا بالمحن والبلوى ، ومحفوظا فيها من الجزع والشكوى ، يتحرز زمن الجزع بالصبر ويتبرر فى المحن بالشكر [٣١] .

(٣١) حلية الأولياء لابى نعيم : ١/ ٥٥ ـ ٥٧ .

الإفادة

ستقتصر الإفادة إن شاء الله على « قصة الشورى » لأنها تحتاج إلى وقفة لما فيها من وعظ عظيم ونقسم هذا الوعظ إن شاء الله على ثلاثة نقاط :

النقطة الأولى : براءة الذمة :

عندما أقبل عمر بن الخطاب ﷺ على الآخرة سأله المسلمون أن يستخلف ! فقال لهم : لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته فإن سئلنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول : « إنه أمين هذه الأمة » ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا استخلفته ، فإن سألنى ربى قلت سمعت نبيك يقول : « إن سالما شديد الحب لله » .

أراد هذا عمر بن الخطاب ﷺ حتى يبرئ ذمته أمام الله رغم أن هناك من أشار عليه باستخلافه ابنه فرد عليه كما هو مذكور فى القصة «كيف استخلف وجلاً عجز عن طلاق امرأته ! » ، ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى . خاف أن يولى ابنه لعدم شكمته فهو يريد تولية أصلح الناس لهذا الأمر وقد وجد أن أصلح الناس قد مات فجعل الأمر شورى حتى يخرج من الدنيا برىء الذمة .

فبراءة الذمة هامة جدًا عند لقاء المولى عز وجل ، ولكن من يعمل من أجلها واسمحوا لى أن أسوق لكم بعض النصوص التى تبين صحة رأى عمر بن الخطاب ، واسمحوا لى أن تكون هذه النصوص فى قالب القصة وتحت قوانين .

نص : المسيح معلم الخير :

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، عن أبى معشر ،

عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى قال :

« جاء رجل إلى عيسى ابن مريم ، فقال - يا معلم الخير ، علمنى شيئًا تعلمُهْ وأجهلُه ينفعنى ولا يضرك ، قال: وما هو؟ ، قال : كيف يكون العبد تقيا لله؟ ؛ قال: بيسير من الأمر ، تحب الله حقا من قلبك، وتعمل لله بكدحك وقوتك ما استطعت ، وترحم بنى جنسك رحمتك نفسك .

فقال : يا معلم الخير ، من بنو جنسى ؟

قال : ولد آدم كلهم وما تحب ألا تراه فلا تأته إلى غيرك وأنت تَقِىٌّ لله حقا » (٣٢) .

أرأيتم موعظة عيسى عليه السلام،ومقولته «ترحم بنى جنسك » فهذا بالفعل ما صنعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وفاته ، خاف أن يولى من لا يكون أمينًا عليهم فأمر بالشورى فرحمة الله عليك يا أمير المؤمنين .

والقصة الثانية سأضعها إن شاء الله تحت عنوان .

نص : مواعظ الأوزاعي :

جاء أمر رحمة الرعية فى أول قصة طويلة دارت بين العلامة الأوزاعى وأمير المؤمنين المنصور ولكن اسمحوا لى أن أسوق إليكم القصة بكاملها لما فيها من المواعظ التى تحقق هدف هذا الكتاب المتواضع وحتى لا أطيل فإليكم نص القصة :

عن الأوزاعى رحمه الله قال : بعث إلىَّ المنصور وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه استجلسنى، ثم قال: ما الذى أبطأ

---

(٣٢) الخطب والمواعظ لأبى عبيد القاسم بن سلام : ١٥٣ .

بك يا أوزاعى ؟

قلت: وما الذى تريد يا أمير المؤمنين؟ ؛ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم .

قيل : فانظر يا أمير المؤمنين أن تسمع شيئًا ثم لا تعمل به ، فصاح بى الربيع وأهوى بيده إلى السيف ، فانتهره المنصور ، وقال : هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة ، فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **أيما والٍ مات غاشًا لرعيته حرم الله عليه الجنة** » .

يا أمير المؤمنين ، كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ، أحمرهم ، وأسودهم ، ومسلمهم ، وكافرهم ، وكل له عليك نصيب من العدل ، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام (٣٣) ليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه؟ .

يا أمير المؤمنين ، حدثنى مكحول عن زياد بن حارثة ، عن حبيب ابن سلمة أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه ـ من خدش خدشه ـ أعرابيًا لم يتعمده ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، إن الله تعالى لم يبعثك جبارًا ولا متكبرًا ، فدعا رسول الله ﷺ الأعرابى ، فقال : « اقتص منى » ، فقال الأعرابى : قد أحللتك بأبى أنت وأمى وما كنت لأفعل ذلك أبدًا ، ولو أتيت على نفسى . فدعا له بخير .

يا أمير المؤمنين ، إن الملك لو بقى لم يصل إليك ، وكذلك لا يبقي لك كما لم يبق لغيرك .

---

(٣٣) الفئام : الجماعة الكثيرة من الناس .

يا أمير المؤمنين ، جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ **مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا** ﴾ (٣٤) قال: الصغيرة : التبسم ، والكبيرة ، الضحك ، فكيف بما عملته الأيدى، وحصدته الألسن .

يا أمير المؤمنين ، بلغنى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة ، لخشيت أن أسأل عنها ، فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك ؟

يا أمير المؤمنين ، جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ **يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ** ﴾ (٣٥) قال : إذا قعد الخصمان بين يديك ، وكان لك فى أحدهما هوى ، ولا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلج على صاحبه ، فأمحوك من نبوتى، ثم لا تكون خليفتى ، يا داود : إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ، ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسر ، ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء .

يا أمير المؤمنين ، إنك قد بليت بأمر لو عرض على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه .

يا أمير المؤمنين : حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن أبى عميرة الأنصارى : أن عمر بن الخطاب ﷺ استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة ، فرآه بعد أيام مقيما ، فقال له : ما منعك من الخروج

---

(٣٤) الكهف : ٤٩ . (٣٥) ص : ٢٦ .

إلى عملك ؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهدين فى سبيل الله ؟ قال: لا . قال : وكيف ذلك ؟ قال: لأنه بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **ما من وال يلى شيئا من أمور الناس ، إلا أتى يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه ، يوقف على جسر جهنم ، ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو عن موضعه ، ثم يعاد فيحاسب ، فإن كان محسنًا نجا بإحسانه ، وإن كان مسيئًا انخرق به ذلك الجسر فهوى به فى النار سبعين خريفا** » . فقال له : ممن سمعت هذا ؟ فقال : من أبى ذر وسلمان رضي الله عنهما ، فأرسل إليهما عمر فسألهما ، فقالا : نعم ، سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال عمر : واعمراه من يتولاها بما فيها ؟ فقال أبو ذر رضي الله عنه : من سلت الله أنفه ، وألصق خده بالأرض ، فأخذ المنديل يعنى المنصور ـ فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكانى.

ثم قلت : يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمارة على مكة أو الطائف أو اليمن ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « **يا عم ، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها** » نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه وأخبره أنه لا يغنى عنه من الله شيئًا إذ أوحى إليه ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)** ﴾ [٣٦] فقال: يا عباس ، وياصفية ، ويا فاطمة ، إنى لست أغنى عنكم من الله شيئًا لى عملى ولكم عملكم ، وقد قال عمر بن الخطاب : لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل ، لا تأخذه فى الله لومة لائم .

---

(٣٦) الشعراء : ٢١٤ .

وذكر تمام كلامه ، ثم قال: فهى نصيحة والسلام عليك .

ثم نهض فقال : إلى أين ؛ فقال : إلى الوطن بإذن أمير المؤمنين . فقال: أذنت لك ، وشكرت لك نصيحتك ، وقبلتها بقبولها ، والله الموفق للخير والمعين عليه ، وبه أستعين ، وعليه أتوكل ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، فلا تخلنى من مطالعتك إياى بمثلها ، فإنك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة .

قلت : أفعل إن شاء الله . فأمر له بمال يستعين به على خروجه ، فلم يقبله وقال: أنا فى غنى عنه ، وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض الدنيا كلها ، وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى رده (٣٧) .

هذه القصة لا تحتاج إلى الإبانة أو الإيضاح أو الإرشاد عن المأخوذ منها للاستدلال على رأينا السابق لذا أرى أن نسير سويا إلى النقطة الثانية.

النقطة الثانية : قطع الرقاب :

جاء فى قصة الشورى : « فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس » هذا الجزء من قصة الشورى يحاول الكثير تأويله ولا يرضى به أبدًا على هذا المعنى فمنهم من يقول «اقتلوا الباقين » أى دعوا رأيهم وأغلبوهم على رأيهم فمن غُلِبَ على رأيه قُتِل ، ومنهم من يقول امنعوهم الرأى بعد ذلك ومن مُنع الرأى على الدوام قُبل فأى

(٣٧) مختصر منهاج القاصدين : ١٣٨ ـ ١٤١ .

شيء أقوى وأوقع على الإنسان ألما من عدم الأخذ بكلامه.

ولكني أقول: إن معظم العلماء قالوا: إن القتل هنا بمعنى القتل ، أتدرون لم؟، لأن المخالف للجماعة كالسوس ينخر فى عصا الإسلام هذا السوس لن يتوقف أبدًا إلا بقتله وقطع رقبته وصدق رسول الله ﷺ حين قال: « **المخالف للجماعة فاقتلوه** » إن هذا القائم على تفريق الجماعة والمخالف لها يريد كسر شوكة الإسلام ومن يريد كسر شوكة الإسلام يكون ضرب عنقه أولى .

واسمحوا لى أن أسوق لكم هذا الحديث لأختم به كلامى ولكن اسمحوا أن أذكره كاملاً حتى ننعم بكامل النفع. حدثنا أبو عبيد ، قال: حدثنا عفان ، قال : حدثنا موسى بن خلف قال : حدثنا يحيى بن أبى كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور ، عن الحارث الأشعرى أن نبى الله ﷺ قال :

« إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات ، أن يعمل بهنَّ ، وأن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن ، فكاد يبطئ . فقال له عيسى صلى الله عليه : إنك قد أمِرتَ بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن تأمر بنى إسرائيل وأن يعملوا بهن ، فإما أن تبلغهم ، وإما أن أبلغهم ! فقال : يا أخى ، إنى أخشي إن سبقتنى أن أعَذَّبَ أو يخسف بى ! فجمع يحيى بنى إسرائيل فى بيت المقدس ، حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن الله أمرنى بخمس كلمات ، أن تعملوا بهن. أو لهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبداً من خالص

ماله بورق أو ذهب ، فقال: هذه دارى ، وهذا عملى فأعمل وأد إلىّ عملَك ، فجعل يعمل ويؤدى عمله إلى غير سيده . فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك ؟

وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ، ولا تشركوا به شيئًا ، وأمركم بالصلاة ، فإن الله ينصب وجهه لعبده ، ما لم يلتفت ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا وأمركم بالصيام ، فإن مثل الصائم مثل من معه من صُرَرٌ من مسْك ، فى عصابة كلهم يحب أن يجد ريح المسك وأمركم بالصدقة ، فَإن مثَل ذلك كمثل رجُلٍ أسره العَدُو ، فشدُّوا يديه إلى عُنقه ، فقال: هل لكم أن أفتدى نفسى ؛ فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل والكثير ، حتى فَدَى نفسه . وأمركم بذِكر الله كثيراً ، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العَدُو سراعًا فى إثره ، فأتى حصنًا حصينًا ، فتحصن فيه ، وإن العبد أحصنُ ما يكون من الشيطان إذ كان فى ذكر الله .

قال : وقال رسول الله ﷺ : « وأنا آمركم بخمس ، أمرنى الله بهن: بالجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد فى سبيل الله وإنه من خرج عن الجماعة قِيدَ شِبْرٍ ، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقه إلا أن يرجع ، ومن دعا بدعوى جاهلية ، فهو من جُثَى جهنم . قالوا : يا رسول الله وإن صام وصلى ؟ فقال : وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، فادعوا المسلمين بما سماهم الله المسلمين المؤمنين عباد الله»(٣٨) .

---

(٣٨) الفتح الربانى : ١٩/١٦٩ ـ ١٩٧ ، والمستدرك للحاكم : ١/١١٧ كنز العمال : ١٦/ ١٤١، ١٤٢ والأصل، الخطب والمواعظ : ١٦٦ ـ ١٦٨ .

النقطة الثالثة : للإمارة بريق :

جاء فى قصة الشورى : « فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى على وعثمان أيهما يصلى عليه فقال عبد الرحمن : كلاكما يحب الإمره» نعم لقد حدث هذا بالفعل فللإمارة بريق يخطف الأبصار ولكن هؤلاء هم صحابة المصطفى ﷺ وسرعان ما انتبهوا كانت لحظات غفلوا فيها والدليل على ذلك أن عثمان رضي الله عنه حيثما تولى الإمارة كان على وجهه كآبة لم تر من قبل ، وعند مقتله وإلحاح الناس على عَلىّ رضي الله عنه بتقلد الإمارة رفض فما زالوا حتى وافق ، فلو كان حب الإمارة راسخ فى قلوبهم لما ترددوا فى قبولها ولكن للإمارة بريق خطفهم للحظات ولكن سرعان ما انتشلهم إيمانهم الصادق وفهمهم للحقيقة هذه الحقيقة التى أعرضها لكم من خلال بعض القصص التى اخترتها لكم وأرجو أن يحصل بها تمام الإفادة .

قصة شيبان والرشيد :

لما حج الرشيد قيل له : يا أمير المؤمنين ، قد حج شيبان قال: اطلبوه لى، فأتوه به ، فقال: يا شيبان عظنى ، قال: يا أمير المؤمنين أنا رجل ألكن ، لا أفصح بالعربية ، فجئنى بمن يفهم كلامى حتى أكلمه. فأتى برجل يفهم كلامه ، فقال له بالنبطية : قل له : يا أمير المؤمنين ، إن الذى يخوفك قبل أن تبلغ المأمن . أنصح لك من الذى يؤمنك قبل أن تبلغ الخوف ، قال له : أى شىء تفسير هذا ؟ ، قال: قل له : الذى يقول لك : اتق الله فإنك رجل مسؤول عن هذه الأمة ، استرعاك الله عليها وقلدك أمورها ، وأنت مسؤول عنها فاعدل فى

الرعية، وأقسم بالسوية ، وانفذ فى السرية ، واتق الله فى نفسك ، هذا الذى يخوفك ، فإذا بلغت المأمن أمنت ، هذا أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل بيت مغفور لكم ، وأنتم قرابة نبيكم وفى شفاعته . فلا يزال يؤمنك حتى إذا بلغت الخوف عطبت « خوفت وجزعت »، قال : فبكى هارون حتى رحمه من حوله ثم قال : زدنى ، قال : حسبك [٣٩] .

من سعة القصور إلى ضيق القبور :

عن علقمة بن أبى مرثد ، قال : لما قدم عمر بن هبيرة العراق ، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبى ، فأمر لهما ببيت ، فكانا فيه نحوًا من شهر ، ثم دخل عليهما وجلس معظمًا لهما ، فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إلى كتبًا أعرف أن فى إنفاذها الهلكة ، فإن أطعته عصيت الله ، وإن عصيته أطعت الله ، فهل تريان فى متابعتى إياه فرجًا؟ ، فقال الحسن : يا أبا عمرو ، أجب الأمير، فتكلم الشعبى ، فانحط فى أمر ابن هبيرة ، كأنه عذره ، فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟؛ قال: أيها الأمير فقد قال الشعبى ما قد سمعت . فقال : ما تقول أنت؟ ؛ قال: أقول : يا عمر بن هبيرة ، ويوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصى الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك .

يا عمر بن هبيرة ، إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله تعالى.

يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل

---

(٣٩) مختصر منهاج القاصدين : ١٤١ .

فى طاعة يزيد بن عبد الملك فيغلق به باب المغفرة دونك .

يا عمر بن هبيرة ، لقد أدركت ناسًا من صدر هذه الأمة ، كانوا عن الدنيا وهى مقبلة عليهم أشد إدبارًا من إقبالكم عليها وهى مدبرة عنكم .

يا عمر بن هبيرة ، إنى أخوفك مقامًا خوفكه الله تعالى فقال: ﴿الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤)﴾(٤٠) .

يا عمر بن هبيرة ، إن تك مع الله فى طاعته ، كفاك يزيد بن عبد الملك ، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصى الله ، وكلك الله إليه .

فبكى عمر بن هبيرة وقام بعبرته .

فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما ، وأكثر فيها للحسن وكان فى جائزة الشعبى بعض الإقتار ، فخرج الشعبى إلى المسجد فقال :

أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل ، فوالذى نفسى بيده ، ما علم الحسن شيئًا منه فجهلته ولكن أردت وجه ابن هبيرة ، فأقصانى الله منه (٤١) .

---

(٤٠) سورة إبراهيم ١ ـ ١٤ .

(٤١) مختصر مناهج القاصدين : ١٤١ ، ١٤٢ .

هذه القصة لا تحتاج إلى إخراج المعانى فكلها غاية فى الوضوح تخبرنا بالحقيقة هذه الحقيقة هى « بعد القصور الزائلة لابد وحتما من الورود على القبور وإن طال العمر أو قصر فالعاقل من تدبر وعمل لذلك اليوم قبل الإقدام عليه » .

وأختم هذا الفصل بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١)** ﴾ (٤٢) .

وقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)** ﴾ (٤٣) .

الحقيقة التى ينساها الغافل « الموت حق والقبر حق والقيامة حق فمن يستطع الهروب من الموت فليصنع ما شاء وإن لم يستطع فليستعد لهذا اليوم وإلا فهو غافل أحمق ».

---

(٤٢) النازعات : ٣٥ - ٤١ .

(٤٣) الواقعة : ٨٣ - ٨٧ .

الفصل الثانى

تعطير الأنام من كلام الإمام

الفصل الثانى
تعطير الأنام من كلام الإمام

هذا الفصل هو الفصل الخاص بالأقوال التى ساقها لنا العلماء عن حديث عثمان بن عفان ﷺ سواءًا أكان هذا الحديث من فطنته وعلو همته واجتهاده فى دين المولى عز وجل ، أو كان هذا الحديث من بعض ما تعلمه من حبيبنا المصطفى ﷺ ، وسواءًا أكان ذلك أو ذاك فهو عطر نتعطر به كلما استزدنا قراءة كلما زدنا عطرًا من عطر الصالحين والقراءة إن كان بعدها العمل كان ذلك النجاة كل النجاة ، وحتى لا أطيل فهيا بنا سويا نبدأ فى القراءة ونسأل الله حسن العمل والاقتداء والنجاة.

مانع الضرر

إن مانع الضرر هو المولى عز وجل فلا نافع ولا ضار إلا الله لذا فهناك حديثان علمهما لنا عثمان بن عفان ﷺ ونقلهما عن حبيبنا محمد ﷺ حتى نتقى بهم وقوع الضرر ونتقرب بهما إلى الله وهما.

حدثنا سريج حدثنا ابن أبى الزناد عن أبيه عن أبان بن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان وهو يقول: قال رسول الله ﷺ : « **من قال فى أول ليلته : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات ، لم يضره فى ذلك اليوم أو فى**

تلك الليلة » [١] .

وأيضًا :

قال عبد الله بن أحمد: حدثنى محمد بن إسحاق المسيبى حدثنا أنس بن عياض عن أبى مودود عن محمد بن كعب عن أبان بن عثمان عن عثمان أن النبى ﷺ قال: « **من قال بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات ، لم تفجأ فاجئة بلاء حتى الليل ، ومن قالها حين يمسى لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يصبح إن شاء الله** » [٢] .

وضوء ومغفرة

الحق أن الموعظة لا يشترط فيها أبدا أن تكون بالتهديد والوعيد أو بالبشارة المُصرح بها علانية فمن الممكن أن تكون الموعظة عن طريق درس خفيف فى هذا الدرس نأخذ الطريق الذى يقود إلى النجاة ، أى موعظة غير مباشرة مثل ما سنذكره الآن .

حدثنى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرج، وحرملة بن يحيىٰ التُّجِيبىُّ . قالا : أخبرنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب ، أن عطاء بن يزيد الليثى أخبره ، أن حمران مولى عثمان أخبره، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بوضوء ، فتوضأ « فغسل كفيه ثلاث مرات ، ثم مضمض واستغفر . ثم غسل وجهه ثلاث مرات . ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك . ثم مسح رَأْسَهُ . ثم غسل رجله

(١) جامع المسانيد والسنن : ١٧/ ١٥٣ .

(٢) جامع المسانيد والسنن : ١٧/ ١٥٣ .

اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ثم غسل اليسرى مثل ذلك . ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئى هذا . ثم قال رسول الله ﷺ « من توضأ نحو وضوئى هذا ، ثم قام فركع ركعتين لا يُحَدِّثُ فيهما نَفْسَهُ ، غُفِرَ لَهُ ما تقدم من ذنبه » (٣) .

قال ابن شهاب : وكان علماؤنا يقولون : هذا الوضوء أسْبَغُ ما يتوضأ به أحد للصلاة وهناك أيضًا حديث آخر وهو :

حدثنا زهير بن حرب : حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن صالح. قال ابن شهاب : ولكن عُروَةُ يحدث عن عمران أنه قال : فلما توضأ عثمان قال: « والله لأحدثنكم حديثا . والله ! لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه . إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه ثم يصلى الصلاة . إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الصلاة التى تليها » (٤) .

قال عروة الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) ﴾ (٥) .

من فقه الدعوة

أسوق إليكم هذا الحديث وأرجو قراءته بغاية التمعن ، حتى نحاول سويا إيجاد ما به من معانى ، وأترك التعليق عليه إلى الإفادة إن شاء

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى : ١/ ٢٥٩ ، وأبو داود ١/ ٤٢٦ ، ومسلم بشرح النووى ٢/ ١٣ ، والنسائى فى الطهارة ١/ ٦٤ - ٦٥ /

(٤) مسلم بشرح النووى ٢/ ٢٥ .

(٥) البقرة : آية ١٥٩.

الله .

حدثنا وكيع عن مسعر ، عن جامع بن شداد ، أبى صخره ، قال: سمعت حمران بن أبان قال :

كنت أضع لعثمان طهوره . فما أتى عليه يوم إلا وهو يفيض عليه نُطفَةً وقال عثمان : حدثنا رسول الله ﷺ عند انصرافنا من صلاتنا هذه قال مسعر : أراها العصر ـ فقال : « **ما أدرى أحدثُكُم بشىء أو أسكت؟** » .

فقلنا : يا رسول الله ! إن كان خيرا فحدثنا وإن كان غير ذلك فالله ورسوله أعلمُ .

قال : « **ما من مسلم يتطهر ، فيتم الطهور الذى كتب الله عليه ، فيصلى هذه الصلوات الخمس إلا كانت كفارات لما بينها** » [٧] .

درس « يحرم للمحرم النكاح »

حدثنا يحيى بن يحيى . قال: قرأت على مالك عن نافع عن نبيه ابن وهب أن عمر بن عبيد الله أراد أن يُزَوِّج طلحة بن عمر ، بنتَ شيبة ابن جبير، فأرسل إلى أبان عثمان يحضر ذلك . وهو أمير الحج فقال أبان : سمعت عثمان بن عفان يقول : قال رسول الله ﷺ « **لا يَنكِحُ المُحرِمُ ـ ولا يُنْكَحُ ولا يَخطُبُ** » .

وأيضا :

---

(٦) نُطفَةً : النطفة بضم النون وهى الماء القليل .

(٧) مسلم بشرح النووى : ٢/ ١١٣٤، والنسائى فى الطهارة ١/ ٩١ وابن ماجة: ١/ ١٥٦ .

حدثنى سعيد بن أبى هلال عن نبيه بن وهب، أن عمر بن عبيد الله ابن معمر أراد أن ينكح ابنهُ ، طلحةَ بنت شيبة بن جبير فى الحج. وأبان ابن عثمان يومئذٍ أمير الحاج . فأرسل إلى أبانٍ : إنى قد أردت أن أنكح طلحة بن عمر . فأحب أن تحضُرَ ذلك .

فقال له أبان : ألا أراك عِراقيًا جافيًا ! إنى سمعت عثمان بن عفان يقول: قال رسول الله ﷺ « **لا ينكح المحرِمُ** » [٨] .

هذا وهناك أحاديث كثيرة فى هذا الموضوع غير أنى اكتفيت بالحديثين السابقين ، كى أستند إليهما فى هذا الحكم الشرعى الذى يخالف حديث ابن عباس ﵁ حيث قال: « إن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم » وأترك التعليق على هذه الأحاديث إلى الإفادة إن شاء الله.

فما الباقيات

حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا حيوة أنبأنا أبو عقيل أنه سمع الحارث مولى عثمان يقول : جلس عثمان يومًا وجلسنا معه ، فجاءه المؤذن ، فدعا بماء في إناء، أظنه سيكون فيه مد ، فتوضأ ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئى هذا ثم قال : « **من توضأ وضوئي ثم قام فصلي صلاة الظهر غفر له ما كان بينهما وبين الصبح ، ثم صلى العصر ، غفر له ما بينهما وبين صلاة الظهر ، ثم صلى المغرب غفر**

(٨) هذا الحديث والحديث الذى يسبقه فى صحيح مسلم بشرح النووى ٩٨٦/٤٠ وأبو داود : ١٦٩/٢ ، والترمذى : ١٩٩/٢ ، والنسائى ١٩٢/٥ وابن ماجه في النكاح : ٦٣٢/١.

له ما بينهما وبين صلاة العصر ، ثم صلى العشاء غفر له ما بينهما وبين صلاة المغرب، ثم لعله أن يبيت يتمرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات».

قالوا : هذه الحسنات ، فما الباقيات يا عثمان ؟

قال: هن لا إله إلا الله وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله (٩) .

كلمة التقوى

حدثنا عبد الوهاب الخفاف حدثنا سعيد عن قتادة عن مسلم بن يسار عن حمران بن أبان أن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه إلا حرم على النار . .

فقال له عمر بن الخطاب : أنا أحدثك ما هى ، هى كلمة الإخلاص التى أعز الله تبارك وتعالى بها محمد ﷺ وأصحابه ، وهى كلمة التقوى التى أوصى عليها نبى الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله (١٠) .

(٩)جامع المسانيد والسنن : ١٧/ ١٦٦.

(١٠) جامع المسانيد والسنن ١٧/ ١٨١ .

أفعال محمد ﷺ

حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت عباد بن زاهر أبا رُواع قال : سمعت عثمان يخطب فقال :

« إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر ، وكان يعود مرضانا ، ويتبع جنائزنا ، ويغزو معنا ، ويواسينا بالقليل والكثير. وإن ناسًا يعلمونى به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط » (١١) .

أم الخبائث

أخبرنا سويد قال : أنبأنا عبد الله عن معمر عبد الزهر عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث عند أبيه قال: سمعت عثمان ﷺ يقول:

« اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له : إنا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت إنى والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع علىَّ أو تشرب من هذه الخمرة كأسًا أو تقتل هذا الغلام .

قال: فاسقينى من هذا الخمر كأسًا فسقته كأسا ، قال: زيدونى فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه» (١٢) .

---

(١١) جامع المسانيد والسنن ١٧/ ٢٠٠. (١٢) جامع المسانيد والسنن ١٧/ ٢١٣ ، ٢١٤ .

ما يعدل قيام ليلة

حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا سفيان عن أبى سهل ، يعنى عثمان ابن حكيم ، حدثنا عن الرحمن بن أبى عميرة ، عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ : « **من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ، ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان كقيام ليلة**»(١٣).

إمام البدعة والفتنة

روى البخارى فى الصلاة قال لنا محمد بن يوسف : حدثنا الأوزاعى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف : أنه دخل على عثمان ـ وهو محصور ـ فقال : إنك إمام العامة وقد نزل بك ما نرى وهو « كذا » أى والحالة هذه ـ أنه ، يصلى لنا إمام فتنة وإنا لنتحرج من الصلاة معه .

فقال له عثمان : « إن الصلاة من أحسن ما فعل الناس ، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم ، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم».

رجلا سهلا

حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا يونس ، يعنى ابن عبيد ، حدثنى عطاء بن فروخ مولى القرشيين : أن عثمان اشترى من رجل أرضًا فأبطأ عليه ، فلقيه فقال له : ما منعك من قبض مالك ؟ ، قال : إنك غبنتنى، فما ألقى من الناس أحدًا إلا وهو يلومنى، قال أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين أرضك ومالك ، ثم قال: قال رسول الله

---

(١٣) جامع المسانيد والسنن : ١٧/ ٢١٣ ـ ٢١٤ .

ﷺ : « **أدخل الله عز وجل الجنة رجلاً كان سهلاً مشتريًا وبائعًا وقاضيًا ومقتضيًا** » (١٤) .

فضل بناء المساجد

حدثنى هَرُون بن سعيد الأيليُّ وأحمد بن عيسى قال: حدثنا ابن وهب أخبرنى عمرو . أن بكيرًا حدثه ، أن عاصم بن عُمر بن قتادة حدثة، أنه سمع عبيد الله الخولانى يذكر ، أنه سمع عثمان بن عفان، عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ : إنكم قد أكثرتُم . وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بنى لله تعالى بيتا ـ قال بُكير : حسبت أنه قال :« يبتغى به وجه الله » **بنى الله له بيتًا فى الجنة**»(١٥).

وأيضًا :

حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى « واللفظ لابن المثنى » قالا: حدثنا الضحاك بن مخلد . أخبرنا عبد الحميد بن جعفر حدثنى أبى عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك. فأحبوا أن يدَعَهُ على هيئته . فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بنى مسجدًا لله بنى الله له فى الجنة مثله** » (١٦) .

تعليق هام :

يقول العلامة النووى :

---

(١٤) جامع المسانيد والسنن ١٧/ ٢٢٠.

(١٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى ١/ ٥٤٤ وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصلاة ٢/ ٦٨٢، وأيضا كتاب الزهد والرقائق ٨/ ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(١٦) الترمذى : ٢/ ١٣٤، وابن ماجه ١/ ٢٤٣وصحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ٦٨٢.

قوله ﷺ : « من بنى مسجداً لله بنى الله تعالى بيتا فى الجنة مثله » يحتمل قوله ﷺ « مثله » أمرين :

أحدهما : أن يكون معناه بنى الله تعالى له مثله فى مسمى البيت وأما صفته فى السعة وغيرها فمعلوم فضلها أنها مما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

الثانى: أن معناه أن فضله على بيوت الجنة كفضل المسجد على بيوت الدنيا (١٧) .

أحذر من إهانة قريش

حدثنا عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر التيمى قال: سمعت أبى يقول : سمعت عمى عبيد الله بن عمر بن موسى يقول : كنت عند سليمان بن على فدخل شيخ من قريش فقال سليمان : انظر إلى الشيخ فاقعده مقعداً صالحًا فإن لقريش حقًا ، فقلت : أيها الأمير ، ألا أحدثك حديثا بلغنى عن رسول الله ﷺ ، قال : بلى ، قال له : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «**من أهان قريشًا أهانه الله** » قال : سبحان الله ، ما أحسن هذا ، من حدثك هذا، قال: قلت : حدثنيه ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب عن عمرو بن عثمان بن عفان قال: قال لى أبى : يابنى إن وليت من أمر الناس شيئًا فأكرم قريشا ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من أهان قريشًا أهانه الله**»(١٨) .

---

(١٧) مسلم بشرح النووى : ٢/ ٦٨٣ .

(١٨) جامع المسانيد والسنن ١٧/ ٢٢٣ .

القبر أول منازل الآخرة

قال عبد الله بن أحمد : حدثنى يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف حدثنى عبد الله بن بحير القاص عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ؟

فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى من هذا ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال :

« القبر أول منازل الآخرة ، فإن يَنْجُ منه فما بَعدَه أيسرُ منه ، وإن لم يَنْجُ منه فما بعده أشد منه » قال : وقال رسول الله ﷺ : **« والله ما رأيتُ منظرًا قطُّ إلا والقبرُ أفظع منه »** (١٩) .

هذا الحديث أستشعره فى قلبى فحقًا يفزع المرؤ منا من القبر فعندما يرى القبر يشعر بالفظاعة وهول المكان ولعلى أسوق لكم قصة تعليقًا على هذا الحديث العظيم وأضع تلك القصة تحت عنوان .

نباش القبور :

روى عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس فى مجلس ابن عباس رضي الله عنهما إذ وقف رجل بين يديه فقال: يا ابن عباس : ما أذل العاصين بين يدى الله تعالى وما أحسن المبادرين إلى طاعة الله تعالى ! يا ابن عباس . ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل ، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل ! .

---

(١٩) جامع المسانيد والسنن ١٧/ ٢٣٤ .

قال : ثم خرج فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له : يا ابن عباس إن هذا الفتى (نباش) وإنما يتستر بهذه المقالة ، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعرى الموتى من أكفانهم .

قال ابن عباس : لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعينى وألمسه بكفى فقال له الرجل : إن شئت لأريتك ذلك : فقال: قد شئت فلما هجم الليل إذ الفتي قد أقبل وفى يده اليمنى قنديل وفى اليسرى غُلٌّ حتى توسط المقابر ثم رمى بطرفه شاخصا وقال :

سلام عليكم أهل مضايق اللحود ، ومطعم البلاء والدود ، ما أبعد سفركم، وما أوحش طريقكم ، فليت شعرى ما حالكم؟ ، ارتهنتم بأعمالكم ، وقطعتم دون آمالكم ، بل ليت شعرى. أندمُ الحياة حَلّ بكم ، أم فرح البشرى بالقدوم على ربكم ؛ سبقتمونا فلبيتم ، وأجبتم قبلنا إذ دعيتم ، ونحن للقدوم عليكم منتظرون وللمنهل الذى وردتموه واردون ، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه ، ورحمنا إذا صرنا إلى ما صرتم إليه ثم نزل فى قبر قد احتفره لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادى :

يا ويلتى إذا دخلت فى قبرى وحدى ، ونطقت الأرض من تحتى ، فتقول لى: لا مرحبًا ولا أهلا، ولاسعة ولا سهلا بمن كنت أمقته وهو على ظهرى ، فكيف وقد صرت اليوم فى بطنى؟ لأضيقن عليك أرجائى ، ولأذيقنك مكروه بلائى . ويلى إذا خرجت من لحدى ، حاملا وزرى على ظهرى وقد تبرأ منى أبى وأمى . بل ويلى من طول كذبى إذا أسمعنى منادى ربى : أين فلان بن فلان؟ فأبرزت من بين جيرتى، وقد

بدت إلى الناس سريرتي ، وقمت عريانا ذليلا وقاسيت كربا طويلا . ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض ، والوقوف بين يدى جبار السماوات والأرض ويلى إذا وقفت أمام ربى فقال لى : عبدى استترت بمعصيتى عن المخلوقين وبارزتنى بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين ، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك ؛ ثم خر مغشيا عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال : يا ذخرى ويا ذخيرتى ومن هو أعلم بطويتى وسريرتى ، يا من عليه اعتمادي فى حياتى ، ومن إليه ألجأ بعد مماتى ، لا تخذلنى بعد الموت ، ولا توحشنى فى قبرى يا سامع كل صوت. . .

فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن يسعى حتى وقف على شفير القبر وجعل ينادى : لبيك لبيك حبيبى ما أنبشك للذنوب والخطايا، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا ، ثم التفت إلى الذى سهى به وقال له : يا عبد الله هكذا فاصنع كلما علمت بمثل هذا النباش ، فأرشده إلى ابن عباس ، فما أحبه إليه وآثره لديه ، يا ليت كل النابشين مثله وأنشأ يقول:

قف بنا بالقبور نبكـى طويـلا ونداوى بالدمـع داء جليـلا

فعسـى الدمـع أن يبـرد منـا بعض لوعاتنا ويشفى الغليلا

وننادى الأحباب كيف وجدتـم سكرة الموت بعدنـا والمقيـلا

لو أطاقوا الجواب قالوا وجدنا سكرة تتـرك العزيـز ذليـلا

بدلوا بعـد القصـور قبـورا ثم بعد اللباس ردما ثقيلا (٢٠)

---

(٢٠) بستان الواعظين : ٢١٧ ، ٢١٨ .

الإفادة

رغم قصر هذا الفصل وقلة العناوين بداخله إلا أنه فصل غاية فى الدسامة ولو شرعنا فى تحليل بعض ما جاء فيه لاحتجنا إلى مجلدات ولكنى أكتفى إن شاء الله بنقطتين وهما:

النقطة الأولى : أطباء الدعوة :

قد يظن بعض الناس مخطئين إن ميدان الدعوة ميدان سهل من الممكن لأى إنسان القيام به ، وما على المرء إلا حفظ المتون وإلقائها على الناس لجهلهم بها ، عسى أن يظفروا بصلاح أمر هؤلاء الناس ، وبالطبع كما قلت إن كانت الدعوة كذلك فهذا فهم خاطئ ولا أصل له من الصحة .

فالداعية طبيب ، نعم طبيب يعالج قلب وفكر وبدن كل من يستمع إليه ، ويختار الساعة والمكان التى يصلح فيها العلاج ولنقرأ سويًا عنوان «من فقه الدعوة » ولنركز علي قول رسول الله ﷺ : « **ما أدرى أحدثكم بشىء أو أسكت ؟** » هنا اختبار للحالة المزاجية لمن سيتلقى الدرس ، وبما أن هذا الدرس كان به من البشارة الشديدة ما يجعل الناس تتكل فقد جعل بعد الصلاة فى حضرة الصفوة ولم يعلن للعامة فهناك أشياء تمنع عن العامة إلا إذا سألوا فيها فيجب أداء الرد ، وذلك لأن العامة لهم بعض الأفهام الخاطئة.

وأختم هذه النقطة قائلا يجب أن يعلم الجميع أن الداعية طبيب

يجب أن يتفحص مزاج المستمعين ويدرس متى وأين وكيف يوجه الموعظة حتى يحصل شفاء صدور المستمعين والله الموفق .

النقطة الثانية : سلامة الرأي :

هناك خطأ عظيم يقع فيه بعض الدعاة وهو ، عندما يرى حديثًا صحيحًا في مسألة يحدث به ، ويأخذه حُجة ، ويبلغ عن فتوى بنص هذا الحديث وينسى تمامًا أنه من الممكن أن يكون لهذا الحديث حديثًا آخر نسخ حكمه أو تفسيرا غير التفسير الذى يعرفه هو لذا أطلب من أى داعية أن يتحرى السلامة فى الرأى والسلامة فى الرأى لن تتوافر إلا إذا كان عند الداعية الإلمام الكامل بالمسألة التى يتحدث فيها فلن يضره أبدًا إذا كان غير ملم أن يقول «الله أعلم» قدر ما يضره الأمر أن حدث وهو يجهل بعض الأشياء عن هذه المسألة .

ولنا تحت عنوان « درس [يحرم للمحرم النكاح] » أكبر مثل ودليل فهناك حديث صحيح عن ابن عباس أخبر فيه « أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو مُحرِمٌ » .

والحديث الذى معنا يحرم ذلك ، فمن يقرأ حديث التحليل ولم يقرأ حديث التحريم ربما يعمل ويفتى به دون إلمام بحديث التحريم الذى قدمناه فيهوى ويذل فى المسألة ، لذا على الداعية أن يحاول بقدر الإمكان الإلمام والشمولية فى المسألة قبل أن يصدر فتواه حتى ينعم بسلامته فى الدنيا والآخره وأرى أن أختم هذه النقطة بتوضيح مسألة «حكم نكاح المحرم » حتى ننعم بتمام الإفادة والله الموفق .

يقول العلامة النووى :

قوله ﷺ « **لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب** » ثم ذكر مسلم الاختلاف أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم ، أو وهو حلال ، فاختلف العلماء بسبب ذلك فى نكاح المحرم ، فقال مالك والشافعى وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم : لا يصح نكاح المحرم ، واعتمدوا أحاديث الباب . وقال أبو حنيفة والكوفيون: يصح نكاحه ، لحديث قصة ميمونة .

وأجاب الجمهور على حديث ميمونة بأجوبه أصحها : أن النبى ﷺ إنما تزوجها حلالا ، هكذا رواه أكثر الصحابة ، قال القاضى وغيره : ولم يرو أنه تزوجها محرمًا إلا ابن عباس وحده ، وروت ميمونة وأبو رافع وغيرهما أنه تزوجها حلالا ، وهم أعرف بالقضية ، لتعلقهم به ، بخلاف ابن عباس ، ولأنهم أضبط من ابن عباس وأكثر .

الجواب الثانى : تأويل حديث ابن عباس على أنه تزوجها فى الحرم وهو حلال، ويقال لمن هو فى الحرم : محرم وإن كان حلالا وهى لغة شائعة معروفة ومنه البيت المشهور .

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما

أى فى حرم المدينة .

والثالث : أنه تعارض القول والفعل ، والصحيح حينئذ عند الأصوليين ترجيح القول ، لأنه يتعدى إلى الغير ، والفعل قد يكون مقصورا عليه واعلم أن النهى عند النكاح والإنكاح فى حال الإحرام

فهى تحريم ، فلو عقد لم ينعقد ، سواء كان المحرم هو الزوج والزوجة أو العاقد لهما بولاية أو وكالة فالنكاح باطل فى كل ذلك، حتى لو كان الزوجان والولى محلين ، ووكل الولى أو الزوج محرمًا فى العقد لم ينعقد.

أما قوله ﷺ « **ولا يخطب** » فهو نهى تنزيه ليس بحرام ، وكذلك يكره للمحرم أن يكون شاهدًا فى نكاح عقده المحلون ، وقال بعض أصحابنا: لا ينعقد بشهادته ، لأن الشاهد ركن فى عقد النكاح كالولى، والصحيح الذى عليه الجمهور ينعقد [٢١] .

وبعد أن سقنا هذا الحديث للإمام النووى أرجو من المولى عز وجل أن نكون قد نعمنا بمحصول الإفادة والله الموقف .

---

(٢١) مسلم بشرح النووى : ٤/٩٨٩ - ٩٩٠ .

الفصل الثالث
مسك الختام من سيرة الإمام

- مجلس فى فضائل عثمان رضى الله عنه.
- أول كف خطت المفصل.
- جيش العسرة .
- اللهم ارحمنا !
- الجنة حق والنار حق .

الفصل الثالث

مسك الختام من سيرة الإمام

إن للإمام عثمان بن عفان ﷺ ، بصمة فى التاريخ الإسلامى ، يصعب على المرء منا أن يصل إليها فهى بصمة عملاق تربى فى المدرسة المحمدية ولكن هو طلب الاقتداء .

لذا أرى فى كل كتاب من كتب الدروس والمواعظ أن نخصص آخر فصل لبيان فضائل ونهج العملاق الذى نتحدث عنه من خلال سيرته ، وحتى لا أطيل فلنبدأ سويا بالعرض .

مجلس في فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أنقل إليكم هذا العنوان من كتاب التبصرة وسوف أكتب كل ما قاله الإمام ابن الجوزى إن شاء الله لأنى أرى أن هذا الكلام بليغ وفصيح يحتاج الداعية لقراءته من أجل التدريب ، لذا لن أحمل منه كلمة واحدة وسأكتبه إن شاء الله كاملا .

يقول العلامة ابن الجوزى :

« الحمد لله الذى لم يزل قديما دائما ، وخبيرا بالأسرار عالمًا، فرب من شاء فجعله صائمًا قائمًا ، وطرد من شاء فصار فى بيداء الضلال هائمًا ، يفعل ما يريد وإن يأبى العبد راغمًا ويقبل توبة التائب إذا أمسى نادمًا ، أحمد حمدًا من التقصير سالما ، وأصلى على رسوله محمد الذى سافر إلى قاب قوسين ثم عاد غانمًا وعلى صاحبه أبى بكر الذى

لم يزل رفيقا ملائما ، وعلى عمر الذى يعبد ربه مُيسرا كاتما وعلى عثمان الذى قتل مظلوما ولم يكن ظالما وفيه أنزل ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ⑨ ﴾ [1] وعلى عليّ الذى كان فى العلم بحرا وفى الحروب صارما ، وعلى عمه العباس الذى لم يزل حول نصرته حائما.

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد واجعل ذكر الآخرة لقلوبنا ملازما ، ووفقنا للتوبة توفيقا جازما ، وذكرنا رحيلنا قبل أن نرى الموت هاجما، واقبل صالحنا واغفر لمن كان آثما.

* عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرى ، رضي الله عنه ، قال : رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل رافعًا يديه يدعو لعثمان بن عفان يقول : « **اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه** » إلى أن طلع الفجر .

* عن يحيى بن سعيد بن العاص ، أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبى ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة ، فأذن لأبى بكر وهو على حاله ، فقضى إليه حاجته ثم انصرف. قال: وكذا عمر قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة « **اجمعى عليك ثيابك**» . قال: فقضيت إليه حاجته ثم انصرفت ، فقالت عائشة : يا رسول الله مالى لا أراك فزعت لا لأبى بكر ولا لعمر كما فزعت لعثمان؛ قال: «**إن عثمان رجل حيى وإن خشيت إن أذنت له على تلك الحالة أن لا يبلغ**

---

(١) الزمر : آية ٩ .

إلى فى حاجته» .

* قال الليث : وقال جماعة من الناس : إن رسول الله ﷺ قال: **« ألا نستحى ممن تستحى منه الملائكة ؟ »** [٢] .

وإلى هنا ينتهى كلام العلامة ابن الجوزى :

وهناك حديث أسوقه لبيان مدى حياء هذا الإمام الجليل .

* حدثنا عبد الصمد حدثنا سالم أبو جُميع حدثنا الحسن وذكرعثمان وشده حياته فقال:

« إن كان ليكون فى البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه » [٣] .

أول كف خطت المفصل

بالطبع عندما نتحدث عن فضائل هذا العملاق لا نستطيع أن ننسى اجتهاده فى جمع القرآن ومدى حرصه على اجتماع الناس على قراءة واحدة ولنقرأ سويا هذا الحديث .

* أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك .

---

(٢) التبصرة : ١ / ٥٠٨ ـ ٥١١ .

(٣) جامع المسانيد والسنن : ١٧/ ١٦٧ .

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف فى المصافح رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف يحرق .

رواه البخارى فى فضائل القرآن عن موسى بن إسماعيل ، وفى مناقب قريش « المناقب » عن عبد العزيز بن عبد الله ، كلاهما عن إبراهيم بن سعد ـ وفى فضائل القرآن أيضًا عن أبى اليمان ، عن شعيب ـ كلاهما عن الزهرى ، عنه به « وفى العلم ـ فى ترجمة الباب لا تعليقا ـ وقال أنس : نسخ عثمان المصاحف وبعث بها إلى الآفاق».

والترمذى فى التفسير « سورة التوبة » عن بندار ، عن ابن مهدى . والنسائى فى فضائل القرآن عن الهيثم بن أيوب ، كلاهما عن إبراهيم ابن سعد به .

وجاء في كتاب التبصرة :

إن عثمان بن عفان ﷺ رأى الرسول في منامه ليلة قتله وهو يقول: أفطر عندنا الليلة ، فأصبح صائما ، فلما دخلوا عليه ضربه رجل بالسيف فقطع يده . فقال : « **أما والله لأول كف . كف خطت المفصَّل** » [٤] .

---

(٤) التبصرة : ١/ ٥١١ .

* وجاء عند العلامة ابن كثير :

قال ابن الزبير قلت لعثمان بن عفان ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٤٠] ، قال: قد نسختها الآية الأخرى . فلم تكتبها أو تدعها .

قال : « يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه» [٥] .

جيش العسرة

قال عبد الرحمن بن سمرة : جاء عثمان بألف دينار في ثوبه جهز النبي ﷺ جيش العسرة فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل يقلبها ويقول: **«ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا »** [٦] .

وقال عبد الرحمن بن خباب : شهدت رسول الله ﷺ حث على جيش العسرة فقام عثمان فقال : يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها[٧] وأقتابها [٨] فى سبيل الله ثم حث على الجيش فقام عثمان فقال : يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله : قال: ثم قضى رسول الله ﷺ على الجيش فقام عثمان فقال يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله. قال عبد الرحمن فأنا رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول: « ما على عثمان ما عمل بعد اليوم » [٩] .

---

(٥) جامع المسانيد والسنن : ١٧/ ٢٠٥ .

(٦) حلية الأولياء : ١/ ٥٩ ، والتبصرة ١/ ٥١٠.

(٧) الحلس : كل ما ولى ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج.

(٨) أقتابها : الرَّحل الصغير على قدر السنام.

(٩) التبصرة : ١/ ٥١٠ .

* وقال العلامة أبى نعيم :

عن عثمان بن عفان ﷺ وكان بالمال إلى رضاء الله متوصلا ، وببذله لعباد الله متنفلا ، ولحظ نفسه منه متقللا ، وفى لباسه وطعامه متعللا .

وقد قيل : إن التصوف ابتغاء الوسيلة ، إلى منتهى الفضيلة . حدثنا محمد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن سعدان ثنا بكر بن بكار ثنا عيسى بن المسيب ثنا أبو زرعة عن أبى هريرة . قال : اشترى عثمان بن عفان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين ، حين حفر بئر رومة ، وحين جهز جيش العسرة .

حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود وحدثنا فاروق الخطابى ثنا سكن بن المغيرة عن الوليد بن أبى هشام عن فرقد ابن أبى طلحة عن عبد الرحمن بن أبى حباب السلمى قال: خطب النبى ﷺ فحث على جيش العسرة فقال : عثمان على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، قال: ثم حث فقال عثمان : على مائة أخرى بأحلاسها ، قال ثم حث فقال عثمان : على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . فرأيت النبى ﷺ يقول بيده يحركها : « **ما على عثمان ما عمل بعد هذا**» .

حدثنا سلمان بن أحمد ثنا الحسين بن إسحاق التسترى ثنا رجاء بن مصعب الأذنى ثنا محمد بن إسحاق الصنعانى حدثنى فأمر الشعبى عن مسروق عن عبد الله . قال رأى رسول الله ﷺ عثمان بن عفان يوم جيش العسرة جائيا وذاهبا فقال : «**اللهم اغفر لعثمان ما أقبل وما أدبر**

وما أخفى وما أعلن وما أسر وما أجهز » .

اللهم ارحمنا !

عندما نقرأ مسيرة هذا العملاق نشعر بمدي تقصيرنا ومدى حقارة أمرنا، فوالله إن لم يرحمنا ربنا ما نجونا فهل يا ترى سنصل إلى مكانة هذا العملاق ؛ وإن لم نصل هل سنستطيع السير على طريقه ودربه .

إن كنا سنحاول فاسمحوا لى أن أبين لكم بعض المواعظ والأفعال العظيمة التى كانت فى حياته ولنرى إن كنا نستطيع أم أننا سنرفع أيدينا ويعلوا صوتنا بقولنا اللهم ارحمنا .

وحتى لا أطيل فإليكم بعض ما قاله وقيل عنه :

* قال الحسن : رأيت عثمان بن عفان يقيل فى المسجد وهو يومئذ خليفة ويقوم وأثر الحصى بجنبه : هذا أمير المؤمنين .

نعم هذا أمير المؤمنين يحكم البلاد ويملك الأموال والديار ولكنه يملك من « الزهد والورع والتقوى » ما يجعله شغوفا عن مطالب الدنيا.

عن ميمون بن مهران : أخبرنى الهمدانى أنه رأى عثمان بن عفان وهو على بغلة ، وخلفه عليها غلامه نائل ، وهو خليفة . من منا يرضى بأن يساوى نفسه بأحد خدمه، رحمك الله يا إمام . أدركت أن التفاضل بالإيمان لا بالفوارق الاجتماعية .

ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى ثنا محمد بن بكر على ابن مسعدة قال سمعت عبد الله بن الرومى قال بلغنى أن عثمان قال:

«لو أنى بين الجنة والنار ولا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير ».

أنت يا من بشرك رسول الله ﷺ بالجنة تقول هذا فلنبك دمًا نحن على حالنا.

عن مسلمة بن عبد الله الجهنى عن عمه أبى مشجعة . قال: عدنا مع عثمان رضى الله تعالى عنه مريضًا فقال له عثمان : قل لا إله إلا الله، فقالها .

فقال : والذى نفسى بيده لقد رمى بها خطاياه فحطمها حطما.

فقلت: أشىء تقول أو شىء سمعته من رسول الله ﷺ ؟.

فقال: بل سمعته من رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله : هذا هى للمريض ، فكيف هى للصحيح ؟ فقال: **«هى للصحيح أحطم»** (١٠) .

فهيا بنا جميعًا نحطم ذنوبنا ونقول بأعلى أصواتنا :« لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

الجنة حق ، والنار حق

وأختم هذا الكتاب المتواضع بما جاء فى منهاج القاصدين عن وفاة عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث قال العلامة ابن قدامة :

عن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان رضي الله عنه ، قالت: لما كان اليوم الذى قتل فيه عثمان ، ظل فى اليوم الذى قبله صائما فلما كان عند

(١٠) جميع ما قيل فى الحلية ١/ ٦٠ ـ ٦١ وجزء فى البقرة ١/ ٥١١ .

إفطاره ، سألهم الماء العذب فلم يعطوه ، فنام ولم يفطر ، فلما كان وقت السحر أتيتُ جاراتٍ لى على أحاجير متصلة فسألتهم الماء العذب، فأعطونى كوزا من ماء فأتيته فحركته فاستيقظ ، فقلت : هذا ماء عذب، فروغ رأسه فنظر إلى الفجر ، فقال : إنى قد أصبحت صائمًا، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اطلع عليَّ من هذا السقف ومعه ماء عذب ، فقال : « اشرب يا عثمان » ! فشربت حتى رويت ، ثم قال : « ازدد » ، فشربت حتى نهلت ثم قال: « **إن القوم سينكرون عليك ، فإن قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا** » .

قالت : فدخلوا عليه فى يومه فقتلوه .

وعن العلاء بن الفضيل ، عن أبيه قال : لما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقه فيها ورقة مكتوب فيها : **هذه وصيه عثمان :**

بسم الله الرحمن الرحيم

(عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من فى القبور ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها نحيا وعليها نموت ، وعليها نبعث إن شاء الله) [١١] .

وهذه خير خاتمة لهذا الكتاب المتواضع .

وأرجو من الله أن نعلم ونعمل بكل ما جاء فى هذ الكتاب وأن

---

(١١) مختصر منهاج القاصدين : ٣٩٣ .

نقوم ونحيا ونموت ونبعث على كلمة التوحيد فإنا بها مقرون شاهدون اللهم إنا نشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك ، فاكتب لنا المغفرة والفوز فى الدنيا والآخرة .

المؤلف

محمد عبده

المنصورة

الفهرس

الفهرس